فك القيد : صورة المرأة في الرواية مقاربة أيديولوجية

د. أسماء محمد عبدالحميد أحمد(*)

ملخص :

يهدف البحث إلى قراءة صورة المرأة في الرواية المصرية في النصف الثاني من القرن العشرين، ومقاربة تشكيل الشخصية مقاربة أيديولوجية، عبر الكشف عن العوامل التي كونت أيديولوجية المرأة في المجتمع، والبحث عن مكونات الصراع الروائي الذي يعكس الصراع الأيديولوجي، بين الأيديولوجيات المتناقضة في النص الأدبي، وقد ركز البحث على ثلاث روايات، هي رواية (الباب المفتوح- ١٩٦٠) للكاتبة الروائية (لطيفة الزيات، ١٩٢٣-١٩٩٦) لأهمية الرواية وريادتها، ورواية (شيء من الخوف- ١٩٦٩) للكاتب الروائي (ثروت أباظة- ١٩٢٧-٢٠٠٢)كذلك لأهمية الرواية والشهرة الواسعة التي نالتها، ورواية (النظارة السوداء١٩٥٢) للكاتب الروائي (إحسان عبد القدوس١٩١٩-١٩٩٠)، لتفردها وتميزها وطرحها لموضوع جديد، وقد تحولت الروايات الثلاث لأفلام سينمائية، لذا اشتهرت وانتشرت انتشارًا كبيرًا، في المجتمع العربي، وقد اهتم البحث بتوضيح الاتجاهات الأيديولوجية، والسمات الفكرية للمرأة في الروايات موضع الدراسة، والتي قادتها لفك القيود وتحطيم الحواجز التي فرضت عليها في المجتمع، وبيان قدرة كل شخصية على التحدي والمواجهة للوصول إلى حياة هادئة تغمرها الحرية، ويسودها العدل والجمال والحق .

الكلمات المفتاحية : الأيديولوجيا، المرأة، الرواية، النقد، الأدب الحديث .

Abstract:

The research aims to analysis the character of women in the Egyptian novel of the twentieth century, and its ideological formation approach, by revealing the factors that have shaped women's ideology in society and search for the components of a fiction conflict that illuminates ideological conflict among the contradicting ideologies of the literary text. it focused on three novels, which are “the open door” written by the novelist Latifa Zayat for its importance and pioneering, “telling something of the fear” written by the novelist Throat Abaza because of its significance and wide popularity it get and "Black Eyewear" written by the novelist Ehsan Abdul Qaddous for its uniqueness, excellence and presenting of a new topic. The research was interested in clarifying the ideological trends and women's intellectual characteristics in the novels subject matter, which leads to untying restrictions and remove barriers imposed by society on it and shows ability of each personality to challenge to reach a quiet life with freedom, justice, beauty and right.

(*) مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب جامعة أسيوط

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

مدخل :

وقع الاختيار في هذا البحث، على ثلاثة نماذج من شخصية المرأة في الرواية العربية، والتي تعكس كل منها أيديولوجية تصارع لاكتشاف الذات، في مواجهة أيديولوجيات مناقضة ومناهضة لها، كما تحققت أيديولوجية الكاتب في كل رواية من الروايات الثلاث محل الدراسة، والتي تباينت إلى حد ما رغم توحد الهدف، وهو فك القيد المحكم حول عقل المرأة في المجتمع العربي في تلك الفترة – فترة صدور الروايات – والهروب من المسار الإجباري المفروض عليها من قبل الأيديولوجيات المسيطرة في المجتمع.

تقديم : الأيديولوجيا :

الرواية الأيديولوجية ترتبط بالمجتمع، فهي رواية واقعية اجتماعية ينقل الكاتب فيها أيديولوجيته الشخصية، وأيديولوجية المجتمع من خلال الشخصيات؛فقد" ظلت الرواية ردحًا طويلًا من الزمن موضوع دراسة أيديولوجية مجردة، وتقديم اجتماعي " [i]

لأن المبدع يصور ويشكل الشخصيات في الرواية، من خلال العالم الذي تعيش فيه ويصور طريقة تعاطيها مع التحديات من حولها، ومع تلك المعطيات التي تكون توجهها الفكري أو أيديولوجيتها . إذ لا يمكن أن تنعزل الشخصية في الرواية عن العوالم التي شكلت وجودها الحقيقي في ذهن الروائي قبل أن توجد داخل العالم اللغوي للرواية لأن " اللغة الخاصة في الرواية هي دائمًا وجهة نظر إلى العالم تستدعي قيمة اجتماعية والكلمة قولًا أيديولوجيًا هي التي تصبح موضوع تصوير في الرواية " [ii] إذن فالخطاب الروائي المشكل للشخصيات لا يمكن له بحال تجاهل أيديولوجية تلك الشخصيات ومن ثم موقفها مع العالم بشكل عام، سواء العالم الروائي الذي خلقت فيه، أو العالم الحقيقي الذي قرئت وتجسدت فيه بعد تلقيها .

أما تعريف الأيديولوجيا فينبثق من عدة وجهات اجتماعية وسياسية وعامة ولسنا بصدد تفنيد المصطلح وتعدد وجهات النظر حوله، فتعرف الأيديولوجيا على أنها "علم يتتبع الأفكار المركبة إلى أصولها البسيطة وجذورها الأولى، التي ترجع بدورها إلى الأحاسيس أو المدركات الحسية المباشرة ، أي أنها علم يحاول الوصول إلى جذور المعرفة الإنسانية وفروعها وحدودها وتراجعها بين الشك واليقين"[iii]، هي علم يفكك الأفكار التي تتبلور في ذهن الإنسان من حيث منشؤها وأصلها، وهي تساعد الإنسان في صراعه مع ذاته والعالم وجدلية وجوده . ومنها يكون موقفه تجاه نفسه .

كما نُظر إليها باعتبارها : " معرفة الظاهرات الآنية والجزئية في مجال نظرية المعرفة ونظرية الكائن تتضمن أحكامًا حول الحق، وظيفتها إظهار الكائن للإنسان الذي هو جزء من ذلك الكون، ويقودنا هذا الاستعمال إلى الجدلية " [iv]

إذن الأيديولوجيا هي نظام للفكر وللعقيدة أو المعتقد، يساعد الذات الإنسانية على التعاطي والتفاعل مع العالم الخارجي. وهي بمثابة درع يقي ويحمي المجتمعات من التخبط والضلال وهي التي تسم المجتمعات بسماتها التي تفرق بين بعضها البعض؛ إذن تساعد في تحديد هوية المجتمع .

كون العلاقة بين المجتمع والأيديولوجيا ثابتة ومتحققة وكذلك العلاقة بين الأدب والمجتمع؛ إذن فالعلاقة بين الأيديولوجيا والأدب علاقة تناغم وتماهٍ لأن أيديولوجية المبدع تنعكس بطريقة تلقائية لا شعورية نسبيًا في إنتاجه الأدبي بشكل عام، وهنا في إنتاج الرواية" فالأيديولوجيا عملية ذهنية يقوم بها المفكر وهو واع، إلا أن وعيه زائف، لأنه يجهل القوى التي تحركه، ولو عرفها لما كان فكره أيديولوجيًا"[v] .

إذن تُحرك المبدع بعض القوى الخفية وتدفعه لصب الأيديولوجيا صبًا أثناء خلق وتشكيل الشخصيات التي يستقيها الروائي بالدرجة الأولى من مجتمعه ومحيطه ممتزجة بأيديولوجية المجتمع؛ فـ" اعتمد الإنسان على الأيديولوجيا كنظرية يستوعب من خلالها كل الأعمال الأدبية من الشعر والمسرح والرواية وذلك منذ مطلع القرن العشرين ابتداءً بملحمة هوميروس " [vi]، والعلاقة بين الذات المبدعة والمتلقية والأيديولوجيا تكون علاقة اندماج وتماهٍ ، لأن الأيديولوجيا هي مجموعة الأفكار المتصورة التي تقف خلف جميع السلوكيات الإنسانية الدينية والاجتماعية والثقافية والتي تشكل الغايات، كما تمهد السبل المؤدية إليها .

يتكون المجتمع من عدة طبقات تتفاوت فيما بينها من حيث السلطة والثراء والقدرة على التأثير والعدد كذلك، هناك صراع دائر في المجتمع يمر بمراحل تاريخية يتكرر معها هذا الصراع، وتتفاوت شدته حسب المصالح وتداولية الأدوار بين الطبقات، ولا يمكن عزل الرواية الواقعية عن تلك الظروف لأنها تنبع منها في الأساس، فـ"يمكن وصف تطور المتن الحكائي بأنه أشبه بمرور من وضعية إلى أخرى، نظرًا لاتصاف كل وضعية بصراع المصالح أو بالصراع بين الشخصيات. إن التطور الجدلي للمتن الحكائي هو نظير تطور السيرورة الاجتماعية والتاريخية التي تقدم كل مرحلة تاريخية جديدة كنتيجة لصراع الطبقات الاجتماعية في المرحلة السالفة، وفي الوقت نفسه كساحة تتضارب فيها مصالح المجموعات الاجتماعية التي تؤلف النظام الاجتماعي القائم "[vii]، وكل طبقة تتبع أيديولوجية

تنبع من نظام ديني وسياسي وثقافي واقتصادي كذلك، أيديولوجيات يتبناها ويتسلح بها أبناء كل طبقة في صراع خفي لإثبات صحة معتقدهم ومعها أحقية وجودهم في المجتمع ومدى هيمنتهم فيه . والأدب ينقل هذا الصراع وينقل معه أيديولوجية ووجهة نظر الكاتب ومقصديته، في التصدي لهيمنة الطبقية والظلم من طبقة بعينها، والخنوع والاستسلام من طبقة أخرى، والجهل والفقر في طبقة ثالثة . وهي القضايا التي يفترض بالأدب معالجتها عند أنصار قضية الالتزام .

تكمن القضية الأساسية في الرواية في الصراع بين الأبطال؛ لأن" كل بطل في الرواية أو كل مجموعة من الأبطال تشكل زاوية نظر خاصة، ومخالفة لآراء الأبطال الآخرين، وعن هذا الاختلاف الإديولوجي ينشأ الصراع في الرواية " [viii]، وهذه الأيديولوجيات لا تقابلنا مباشرة، ولا يعلن عنها الأبطال صراحة في المتن السردي الحكائي، ولكنها تظهر من خلال أنواع الحوار الداخلي أو الخارجي، كما تظهر أيديولوجية الكاتب في السرد، وفي إثباته أن الخلاص وانفراج الأزمة لا يأتي إلا من تبني أيديولوجية بعينها، تكون في الواقع أيديولوجيته الشخصية، لا يؤثر فيها انتصار الخير على الشر، لأن الصراع نفسه يفصح عن المثل والقيم والأفكار التي يؤمن بها الأبطال، ومنها تبلورت أيديولوجيتهم . " إن الإديولوجيا في الرواية إذن تكون عادة متصلة بصراع الأبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيرًا عن تصورات الكاتب بواسطة تلك الإديولوجيات المتصارعة نفسها "[ix] تتصارع في المجتمع في الأصل ومنه إلى الرواية، ثم إلى المجتمع مرة أخرى بتأثير الأدب وهكذا تدور الدوائر .

صورةالمرأة في الرواية مقاربة أيديولوجية :

في مجتمعاتنا المسلمة العربية كفل الإسلام للمرأة حقوقها كاملة[x] مثل الميراث والتملك والذمة المالية المستقلة عن الرجل، وحرية اختيار الزوج وغيرها الكثير، إلا أن المجتمعات الشرقية انفصلت في تعاملها مع المرأة وفي نظرتها لها عن قيمة المرأة الحقيقية في الإسلام، وأعادتها إلى العصور الجاهلية السحيقة، ورفضت وجودها رفضًا مقنعًا، وعاملتها معاملة التابع الضعيف، والدرجة الثانية حتى لو ادعت المجتمعات العربية العكس في العصر الحديث، تشبهًا بالمجتمعات الحرة المتقدمة، لاسيما مع خروج المرأة للعمل وترقيها في سلم العلم والمناصب وهذا ما ساد في المجتمع العربي .

تشكلت صورة المرأة في الرواية العربية الحديثة في نماذج متعددة ومنها هذا النموذج الذي تمثل فيه رمزًا للتغيير بل والثورة والتمرد وتحطيم الحواجز وفك القيود، مثل نموذج ليلى الفتاة المثالية ذات الشخصية الثائرة التي كاد يقتلها القمع والقهر المجتمعي للفتاة في رواية الباب المفتوح للطيفة الزيات، وفؤادة المثقفة الصلبة القوية الواثقة التي لا تخضع، في رواية ثروت أباظة شيء من الخوف، وسوزيت

الغارقة في الانحطاط الجسدي التي انتصرت لنفسها وارتقت بروحها من مستنقع اللذات، إلى سمو ورفعة العلم والثقافة والجمال في رواية النظارة السوداء لإحسان عبد القدوس . وقد وقع الاختيار على الروايات الثلاث محل الدراسة لعدة أسباب، الأول زمن صدور الروايات الثلاث، فقد صدرت الروايات في الفترة من(١٩٥٢-١٩٦٩)، وهي الفترة التالية لثورة ٢٣ يوليو، كما عاش الكتاب الثلاثة في نفس الفترة الزمنية، بل ولدوا وماتوا في عقد واحد، لذا اشتركوا جميعهم في أيديولوجيات متقاربة شكلتها معاصرتهم لأحداث تاريخية محورية في تاريخ الوطن، وهذا ما دفعنا للاعتقاد بأن صورة المرأة عندهم تعادل صورة الوطن، والدعوة لفك قيد المرأة، هي في الواقع دعوة لفك قيود الوطن وتحريره من براثن الاستعباد والظلم، وكذلك الفساد المصاحب للنظم الحاكمة في كل الأزمنة، مادامت المجتمعات غارقة في الازدواجية، مبتعدة عن جوهر الشريعة .

لقد تفاوتت نظرة المرأة لنفسها، وتقديرها لذاتها ونقلها معاناتها الذاتية ومقاومتها لتيار المجتمع، في الصور المتباينة لكل من ليلى وفؤادة وسوزيت، ومن ثم يناقش البحث قدرة المرأة على فك القيود، رغم اختلاف الحواجز التي وقفت أمامها، واختلاف التجربة في كل مرة .فيناقش البحث تجربة المرأة في المقاومة والصمود والتمرد، من خلال الروايات الثلاث موضع الدراسة .

الباب المفتوح:

للأيديولوجيا علاقة جدلية راسخة بالإنثربولوجيا[xi] أو علم الإنسان، وكذا بالمجتمع والفرد بطبيعة الحال؛ لأنها تنظم وتدعم الوجود الفاعل للذات الإنسانية، وتنظم التفاعل والتعاطي بين الإنسان وكل ما يحيط به، بالإضافة لكل ما يواجهه من تحديات، ويكون لذلك خطاب الرواية الأيديولوجية من المجتمع للمجتمع، ومن الذات للذات، فتظهر في الرواية عدة أيديولوجيات متناقضة متقابلة، ويتولد الصراع بين كل منها، في محاولات لإثبات أهليتها وملاءمتها لحرب الإنسان من أجل حقه الإنسان في الوجود. وقد يحاول الكاتب إثبات أيديولوجيته عبر السرد، أو يكون محايدًا ويترك الحوار بين الشخصيات، داخليا أوخارجيا يوضح منظور كل شخصية .

تتصارع عدة إيديولوجيات في رواية الباب المفتوح وتنقسم إلى فريقين :

الفريق الأول : فريق الهيمنة المجتمعية والفكر السائد والذي يتمثل في (الأب – الأم – الخالة – عصام – جميلة – سيدات المجتمع المحيط – زينب هانم– دولت هانم – الدكتور رمزي)

الفريق الثاني : فريق الحرية والثورة وهم (حسين– محمود – سناء) .

وهناك ليلى الحائرة الضائعة الممزقة بين الفريقين، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا تستطيع أن تكون مثل سناء، ولا تقبل روحها أن تكون مثل جميلة، تصارع طوال الوقت وتواجه وتحارب وتبحث عن ذاتها وعن الخلاص، هل يكمن الخلاص في التحرر من تلك القيود ومن الأحذية فوق الأعناق ومن سجن الأنثوية . أم بالتأقلم والانصياع ومواكبة التيار ؟

ناقشت لطيفة الزيات في رواية الباب المفتوح قضية الوجود واكتشاف الذات للمرأة من خلال بطلة الرواية ليلى، قضية الكيان الأنثوي في مقابلة الرفض المجتمعي، فنقلت مراحل حياة ليلى التي نشأت في أسرة مصرية من الطبقة المتوسطة، وتفاعلها مع ما حولها منذ طفولتها وحتى شبابها، في تداخل بين حياة ليلى وبين الأحداث السياسية التي ألمت بمصر فترة صدور الرواية مثل حريق القاهرة، مزاوجة بين معاناة الوطن ومعاناة ليلى في آن واحد . وهنا تلتزم الكاتبة بالمجتمع والقضايا التي تشغله في هذه الحقبة الزمنية، عن طريق نقل "الكيفية التي تتفاعل بها الإيديولوجيات داخل النص لتولد موقف الكاتب الإديولوجي السياسي أو الإديولوجي المعرفي، بل يتم التوجه مباشرة إلى تأمل موقف الكاتب من خلال رؤية عامة للنص الروائي دون تحليل بنيته الإديولوجية "[xii].ولا يبذل القارئ جهدًا كبيرًا ليكشف عن توجه الكاتب وأيديولوجيته، فهي تثبت نفسها في وجهات النظر المتحاورة المتقابلة على لسان شخوص الرواية ، أو عن طريق السرد .

وينقسم الصراع في حياة ليلى إلى مراحل، منذ الطفولة حتى الشباب كالتالي :

ليلى طفلة ثائرة:

قوبلت ليلى منذ طفولتها بالرفض التلقائي الذي تمنى به الأنثى في المجتمعات الشرقية، الرفض للكيان والوجود الأنثوي، الذي يكره الأنثى تلقائيًا، حتى وهي طفلة، لكن فيها بذور الأنوثة التي ستكبر وتحولها إلى امرأة، أي إلى الشيطان العدو. تقول أمها: " لكن أعمل إيه في بختي المنيل، ربنا شقيك من كله، ربنا ياخدك أحسن ويريحنا، ويقول أبوها: – أنا قلت دي مش بنت.. دي فتوة! "[xiii].

الأيديولوجية السائدة في المجتمع هي الرفض والتوجس من الأنثى ومن وجودها وكينونتها في حد ذاتها، منذ طفولتها التي لم يظهر معها بعد صلاح أم فساد الرفض رفض للكينونة وليس رفضًا مبررًا، أو منطقيًا، أو لسماتٍ في الشخصية، أو لسلوكيات خاطئة .الرفض من أجل الرفض وكفى .

القبول هو ما بحثت عنه ليلى حاول عقلها وكيانها أن يرفض نظرة الكره التي ولدت معها لحظة ولادتها، ولازمتها طوال عمرها، آمنت بأحقيتها في الوجود. إنسان يوجد ويتنفس ويفكر ويشعر،

قد يفيد المجتمع، كائن طبيعي لا يختلف عن الرجل ولم يقترف ما يعاقب عليه، إذن فلماذا يعاقب ويحاصر ؟

لم تفهم ليلى في البداية سببًا واضحًا للرفض، ولقسوة الأهل معها لكنها فهمت أنها تحتاج للحب تحتاج للاحتواء، فحاولت البحث عن الحب والقبول الذي لم تجده في البيت في المدرسة "ضروري، ضروري كل واحدة في المدرسة تحبها، ضروري أبلة نوال تحبها " [xiv]، بات أمرًا لابد من حدوثه حتى تسكن روحها، وتشعر أن المبررات المنطقية لرفض الأهل لها، تتعلق بهم بعقليتهم وأيديولوجيتهم التي نشأوا عليها ووجدوا عليها آباءهم وأجدادهم، لا أنها تنقص في كينونتها عن غيرها من الكائنات الحية حولها .

جميلة ابنة خالتها اختارت الطريق المعبد القريب للحصول على القبول بمحاولة إرضاء الأصوات الرافضة، وإسكات صيحاتهم الكارهة، فقد سارت في طريقهم الذي رسموه لها، وحاولت إرضاءهم لتجنب سخطهم، ثم البحث واللهاث وراء المظهر الذي يكسبها القيمة والقبول من الأهل والمحيطين، ويعجب الزوج المشتري؛ فقيمتها تقاس بمدى نجاحها في أن تصبح من مقتنيات أحد الرجال، وأن يدفع فيها ثمنًا وأن يصبح لها سعر في سوق الرقيق المقنع الذي يقيمه المجتمع تحت شعار الزواج .

لكن هذا الخوف والترقب الذي لاحق ليلى وأنوثتها تصاعد مع الأيام حتى ذعر الأهل حين ظهرت على ليلى علامة البلوغ قال الأب:" يا رب تقدرني يا رب دي ولية يا رب الستر يا رب الستر! "[xv]ولكنها في داخلها لم تخف ولم ترفض نفسها أرادت أن تكبر ورحبت بخطوتها الأولى بعيدًا عن الطفولة قالت:" ليه يا جميلة ليه؟ أنا عايزة أكبر عايزة أكبر.

تكبر وتصبح مثل أمها، لا، مثل ...مفتشة التاريخ ذات الجبين الأبيض العريض والرأس المرفوع، والشعر الأسود، والمشية الهادئة كمشية الملكات " [xvi]

رفضت ليلى الواقع من حولها، رفضًا حاسمًا، أرادت أن تستقبل الحياة بروحها الشجاعة، بإرادتها في الوجود، تريد أن تكبر، تريد أن تصبح نموذجًا جديدًا قويًا وشامخًا، مغايرًا لنموذج أمها، مثل المفتشة مرفوعة الرأس . وتريد أن ترعى بذرة التمرد على تلك القيود التي وجدت معها منذ طفولتها، منذ الطفولة تمردت ليلى أو حاولت التمرد " قالت بصوت فيه نبرة تحد : رايحة أفتش على محمود " [xvii]. ولكن القيود كانت أكبر منها كانت تخنق وتقتل إرادتها .

ليلى تنشأ في السجن :

تحاول ليلى الفرار والفكاك، ولكن القيود أحاطت بها، خنقت إرادتها وتصدت لشجاعتها، وتكشف لها مع الأيام أنها كلما تكبر تخطو مسرعة وتتجه بقوة الدفع نحو السجن الكبير، سجن الحياة " ولم تفهم ليلى تلك الليلة لم نظرت إليها جميلة هذه النظرة الحزينة ولم بكى أبوها، ولكنها فهمت على مر السنين، فهمت أنها ببلوغها دخلت سجنًا وعلى باب السجن وقف أبوها وأخوها وأمها، والحياة مؤلمة بالنسبة للسجان والسجينة: السجان لا ينام الليل خشية أن ينطلق السجين ويخرج على الحدود التي حفرها الناس ووعوها وأقاموا من أنفسهم حراسًا عليها . والسجينة تستشعر قوى لا عهد لها بها وتشلها الحدود حدود بلهاء عمياء صماء "[xviii]

تحيط بليلى عدة أصوات تحقق بشراسة أيديولوجية المجتمع السائدة في رفض الكيان الأنثوي وليلى تواجههم جميعًا ممزقة بين علو الأصوات من حولها وبين صوت أفكارها الداخلية، ليلى تواجه (الأب – الأم –الخالة– جميلة – عصام – سيدات المجتمع)

فانقسم الصراع بين أيديولوجية ليلى والأيديولوجيات المعارضة لها لعدة اتجاهات من خلال عدد من الشخصيات الصراع مع الأب والأم، الأب يحاول سجنها والسيطرة عليها وكبتها، ورفض كل ملمح أو سمة تبشر بإمكانية خروجها عن الحدود المرسومة لها، والأم تحاول تجميلها وتسويقها وبيعها وتعليمها حقيقة وجودها، وقيمتها في الحياة هي أنثى إذن هي سلعة تكمن قيمتها في قدرتها على جذب المشتري المثمن للسلعة، وتلك القدرة بدورها تكمن في مهارتها في التجمل، والانقياد والخضوع، وشطب كلمة لا من قاموس حياتها .

حرص الأهل على رسم الحدود التي تنشئ أنثى بهذه السمات وهنا كانت حدود ليلى، الحدود التي شلتها والتي تحرم عليها كل شيء، كل شيء عيب الضحكة والكلمة والقعدة والتعبير عن الرأي: " أصبحت ليلى تلتفت خلفها كلما سمعت خطوات، تنتظر تعنيف أمها لها عن شيء حدث منها ولا تعرف ما هو "[xix] ولكن الأم لا تتوانى عن مهمتها تريدها أن تتيقن أنها لا إرادة لها ولا عقل يميز الصواب من الخطأ، ولا يمكن أن تفعل شيئًا واحدًا صحيحًا " أنا في الحقيقة احترت وياك يا ماما، كل حاجة أعملها تطلع غلط في غلط " [xx].

ثم يأتي دور صديقات وقريبات الأم، اللائي يملكن سلطة تصميم الشكل الملائم لصندوق العرض المغلق بإحكام، الذي تعرض فيه السلعة في انتظار المشتري، وليلى "كان عليها أن تقابل ضيفات أمها وأن تسامرهن، وكانت الآن قد تدربت بما فيه الكفاية تعلمت كيف تبتسم وكيف ومتى

تضحك، ومتى تجلس ومتى تنسحب، ولكنها كانت تكره كل هذا من أعماق قلبها، وتعتبره تقييدًا لحريتها وقتلًا لإنسانيتها "[xxi] .

الأم نفسها تعرف قيمتها، هي أقل من صديقتها زينب هانم لأن زينب هانم تمتلك قوة الثراء، وليلى ترفض هذا المقياس تقول لأمها :" وزينب هانم دي أحسن منك في إيه ؟ عشان غنية يعني؟!.

قالت الأم في بساطة : أيوة عشان غنية "[xxii]، تريد الأم لهذه الابنة ذات العقل اليقظ الرافض الثائر أن تدرك حقيقة الحياة تريدها أن تفتح عينيها على الواقع وإن كان صادمًا "نعم فتحت أمها عينيها .. فتحت عينيها على ماذا ؟ على الدنيا على الحياة إنت جاهلة بالدنيا أمها قالت، وكان من الممكن أن تقول : إنت ضروري تتعلمي الكذب والنفاق يا بنتي، وطبعًا لم تقل هذا، ولكنها قالت ما يساويه . ولِمَ ؟ عشان الدنيا عايزة كدة .. عشان الحياة عايزة كدة " [xxiii]. هذا ما دأب عليه المجتمع وما صممه ورسمه لأفراده، وما فرضته عليه الأيديولوجيات السلطوية المؤثرة .

قالت صديقة الأم : " حرام عليك البنت النهاردة على وش جواز، والبنت إن ماكنتش تلبس ما يبقالهاش سعر في السوق !... جارية جارية في سوق الرقيق تلبس وتتزين ليرتفع سعرها !"[xxiv]هذه أفكار المجتمع، وقيمة البنت – كما قالت صديقة الأم – في سعرها . الذي يتحدد حسب متطلبات الشاري، الذي يميزه في الأساس كونه رجلًا أو ذكرًا، ثم يميز الذكور عن بعضهم البعض، ما يملكه الرجل منهم من أموال ومناصب وسلطة تكسبه الاحترام والتقدير في المجتمع، وهو يحتاج الآن ليكمل أناقته ووجاهته الاجتماعية، بدمية يشتريها ويتملكها، ليتزين بها هي الزوجة.

إذن البنت في أعين المجتمع مرفوضة لا قيمة لها إلا إذا ثمنها أحد الرجال ورغب في امتلاكها فـ"عندما تولد البنت يبتسمون ابتسامة تسليم وعندما تكبر يسجنونها ويدربونها على فن الحياة لكي يرتفع سعرها في السوق وتتزوج ..تتزوج من ؟ أي إنسان . والراجل ما يعيبوش إلا جيبه ... يجب ألا تحس وألا تشعر وألا تفكر وألا تحب، يجب وإلا .. وإلا قتلوها كما قتلوا صفاء "[xxv].

قتلوا صفاء لأنهم وضعوا شريعة ومنهاج الدين الذي من المفترض أن يحكمهم جانبًا وحرموا حلالًا وهو الطلاق، وأحلوا حرامًا وهو قتل النفس، قتلها سواء قتلها حقيقةً أو قتلها بقتل إرادتها، ليلى تُقتل إرادتها وهي ترى من تُقتل حقيقة لرفضها قوانين المجتمع قالت عن دولت هانم : " عايزة تقتلني زي ما قتلت بنتها "[xxvi].

خاصمتها أمها ثلاثة أيام لأنها لم تر في تصرف دولت هانم تجاه ابنتها صفاء خطأ سمعت ليلى أن "صفاء انتحرت ... في نفس الليلة التي لجأت فيها إلى أمها وعملت الأم بالأصول ورفضت

أن تؤويها ...فرجعت صفاء إلى منزل الزوج وانتحرت "[xxvii]"، الأم تقاوم الفطرة وطبيعة الأمومة، وتقبل أن تتحمل موت ابنتها ولا تواجه نظرة المجتمع، ها هي دولت هانم "حزنت على موت ابنتها كما تحزن كل أم، ولكن هل شكت لحظة واحدة في صحة تصرفها ؟ أبدًا ولا الآخرون شكوا في صحة هذا التصرف "[xxviii]. كيف يشكون وقد فرضوا قوانينهم الوضعية واعتنقوها وقدسوها .

لا يجدر بالأنثى في نظر المجتمع سوى الطاعة العمياء، للقوانين والحدود التي حددها المجتمع وارتضاها بعيدًا عن أحكام الشرع، تناسى المجتمع أن المرأة التي تنشأ على طاعة الله تكون الطاعة عندها محببة، وموافقة لطبيعتها في حاجتها الدائمة للرعاية والاهتمام والحنان ، ولكن بمحض الإرادة الحرة والاختيار ، لا القسر والقهر، عبر علاقة يكون فيها الأخذ والعطاء، كل طرف من الطرفين يعطي مرة ويأخذ مرة. يغضب مرة ويعفو مرات.

هكذا تكون الطاعة نابعة من الحب والتقدير والاحترام المتبادل، وتكون الطاعة في العلن والخفاء في السر والجهر، لكن الإرادة المكبوتة المخنوقة قسرًا وقهرًا، تظل تبحث عن مفر للتمرد في السر وإن لم يكن في العلن مثلما فعلت جميلة بموافقة ضمنية من أمها لا بأس بالتنازل عن القيم والمبادئ وصولًا للخيانة، مادام في خفية عن أعين المجتمع، أما الطلاق لا يمكن إخفاؤه عن الحكام والجلادين رغم شرعيته، إلا أن سلطة المجتمع حرمته وجرمته، وأحل المجتمع ما حرم الله . أحل قتل النفس كما فعلت صفاء، التي ارتضت أمها أن تموت على أن تختار الطلاق وتصم أمها في المجتمع وينظرون إليها نظرة الأم الفاشلة التي تطلقت ابنتها، لا لتمت وتنقذ أمها من مواجهة المجتمع .

حتى دور حب الوطن والشعور بمسئولية تجاهه لا مكان للنساء فيه، لم تخلق السياسة للأنثى، لا تملك الأنثى حقًا في التفكير وتبني الآراء والتوجهات، عقلها أقل من أن يستوعب ما يستوعبه عقل الرجل، حتى وإن تعلمت وقرأت الأدب وتأثرت به، التعليم مجرد وسيلة جديدة لتجميل السلعة ورفع ثمنها في السوق، لكن حب الأوطان والثورة لأجلها مقصور على الرجل، أما البنت ممنوع ومحرم عليها ذلك، " وقالت جميلة : أنا مش خارجة ! قالت ليلى : خليك. أنا شخصيًا خارجة .قالت جميلة :

- ليلى .. إنت المسؤولة عن اللي هيحصل، افرضي أهلك شافوك، أبوك ولا محمود ؟
- وابيضت شفتا ليلى وقالت في ضيق :
- أهلي، أهلي ! هو ما حدش له أهل غيري ؟

ولكنها وقفت مترددة، وقالت جميلة :

–ارجعي .. ارجعي أحسن دي هتبقى بهدلة !

وفي هذه اللحظة اندفعت جماعة من الطالبات تجاه ليلى، وحاولت ليلى أن تتراجع، أن تشق لنفسها طريقًا لتنفصل عن الكتلة الآدمية المتدفقة، ولكن الكتلة جرفتها في طريقها وفصلتها تدريجيًا عن جميلة ووجدت ليلى نفسها في الشارع " [xxix] .

تبعت ليلى إحساسها الطبيعي في حب الوطن وحب الانضمام لجماعات قد تحررت وحطمت القيود والأسوار، وخرجت لتهتف بمجد الأوطان، وتنسمت نسيم الحرية في الهتاف وإعلاء صوت الحق، ومعه قيم العدل والحرية والجمال، وتبعت بذرة التمرد التي طالما وجدت فيها منذ صغرها منذ طفولتها تمردت أو حاولت التمرد " قالت بصوت فيه نبرة تحد : رايحة أفتش على محمود " [xxx]. حاولت أن تتحدى النظام القاهر من حولها ولم تفكر في نتائج محاولاتها، ولكن كان كل ما صنعت سدى .

ها قد عادت لتقابل سوط الجلاد، صاحب السلطة الذي حكم بجرم ما صنعت، انتهت لحظة الكرامة وهبطت من على البساط السحري الذي طار بها في السماء تتنسم نسيم الحرية ، عادت للجلاد لتلقى جزاء ما صنعت " كز أبو ليلى على شفتيه حين فتح لها الباب، فتح لها الباب في هدوء، وفي هدوء أغلقه، ثم أظهر الشبشب الذي أخفاه، وبيديه خلع حذاء ليلى وعلى قدميها دوت طرقعة الشبشب "[xxxi]، عادت للإهانة والمهانة .

"وانهارت ليلى على طرف السرير ودفنت وجهها في يديها لمَ تعيش ؟ لمَ ؟ إنها ليست إنسانًا، إنها ممسحة ممددة في الصالة، كالممسحة التي يمسح فيها الناس أقدامهم ! وليس هناك من يحبها ولا من يعاملها كإنسانة "[xxxii] . حتى وإن رفض الأب تصرف ليلى لما قد يتبعه من أذى يلحق بها، وإن لم يكن هذا ما أقلق الأب إنما أقلقه أن يرى الناس ابنته ويحكمون عليه بالضعف، وتراخي القبضة عليها وعلى بيته مما ينقص من رجولته، حتى وإن رفض الأب هذا التصرف، ألم يجدر به اختيار طريقة ملائمة وآدمية، للتعامل مع إنسان كبر وتعلم وكون وجهة نظر في الحياة، لكن ليلى ليست إنسانًا، إنها أنثى، إنها كائن في مرتبة أقل من الإنسان إذن لا حق لها ولا رأي لها ولا كرامة لها، والإهانة تليق بها " زي الكلب، زي الحشرة، زي الدبة .. بابا قال وهو في السرير عيان وأنا بحضنه : زي الدبة اللي قعدت تحضن في ابنها لغاية ما مات "[xxxiii].

إذن أخطأت ليلى خطأً كبيرًا، وأجرمت جرمًا شنيعًا " غلطانة فعلا غلطانة، عبرت عن شعوري زي ما أكون إنسان ونسيت إني مش إنسان نسيت إني بنت"[xxxiv]وهنا أدركت حقيقتها في نظر المجتمع ومنها نظرة أبيها الذي يتغافل عما أمرته به شريعته ودينه، ويسير خلف شريعة المجتمع وقانونه، كما يتجاهل غريزة الأبوة التي فطره الله عليها .وليلى في صراعها مع ذاتها وحيرتها بين ما تتعلم في

المدرسة، وما تقرأ في الكتب وبين ما يدور حولها حقًا، أين الحق وأين الحقيقة ؟ في هذه المرحلة تاهت ليلى بين صوت الحق وسوط الجلاد، بين نداء الحرية ودوي الصوت من صليل سيف السجان . لتعود إلى سجنها وتقبع فيه في غياهب ظلمته، و خلف أبوابه المغلقة.

ليلى تبحث عن مفر في الحب :

بعد أن أدركت ليلى حقيقة وجودها في الحياة ونظرة المجتمع لها، حاولت الفرار من شعورها بالدونية حاولت الهروب إلى مفر، إلى مكان تكون فيه مقبولة ومحبوبة لذاتها وكينونتها، لذا بحثت عن الحب، كانت ليلى تحلم بالحب وترسم لحبيبها صورة في خيالها " إن الرجل الذي تتصوره، الذي سيحبها وتحبه لن يكون كصدقي، ولن يكون كأبيها ولا كأي رجل قابلته إلى الآن " [xxxv]لكن من عساه يكون وهي في دائرة ضيقة، ليس فيها غير خالتها وابن خالتها عصام، نعم عصام الذي ينظر لها نظرة اهتمام، هل يكون عصام مختلفاً عن بقيتهم، وهل يحبها عصام أم ينظر إليها نظرة المجتمع نفسها ولكن بأعين جديدة متنكرة ومتخفية خلف دعوى الحب، بل هي سلعة وشيء يمتلك يريد هو امتلاكه . بدعوى الحب وهو لا يحب ولا يقدر حتى بلده ولا يريد التضحية من أجلها وهي أيديولوجية الجبن والتخاذل .ولكنه جاء في طريقها فحسبته مهربًا وحاولت معه" صحت ليلى واسم عصام على لسانها، وأبقت عينيها مغمضتين على صورته وهو يقف تجاهها يركز عينيه في عينيها "[xxxvi].

أعطاها عصام شعورًا جديدًا لم تألفه، أحست أنها إنسانة " وغمرها شعور بالسعادة حتى لم تعد تتحمله، وأرادت أن تصرخ أن تغني أن ترقص، أن تقفز ... أدركت فجأة وهي واقفة في النافذة أن مرحلة جديدة من مراحل حياتها قد بدأت، تفتحت أمامها دنيا الحقيقة لا دنياهم الكئيبة المقيدة دنياها هي وهو تستطيع فيها أن تعبر عن نفسها كالطير الطليق، وهي محبوبة ومرغوبة ومحترمة وكل تصرف لها معقول ومقبول "[xxxvii] هل كان عصام هو السبب أم الشعور في حد ذاته شعور التجربة العاطفية التي يقدر كل طرف فيها الآخر، الشعور الذي ينطوي على حرية الإرادة والاختيار حتى وإن كان اختيار القلب، حتى وإن كان اختيارًا خاطئًا، يكفي أنه اختيارها الذي لا سلطة لغيرها عليه، ولا تحكمه قوانين المجتمع، التي حددت لجميلة مواصفات الزوج المشتري المثالية . وباعت صفاء وقادتها نحو حتفها.

كانت ليلى قد كونت رأيها في الزواج ورفضها لزواج جميلة وطريقة اختيار خالتها للزوج، السيد الجديد الذي تنتقل له ملكية الأنثى، وحاولت أن تفتح أعين جميلة على حقيقة هذا الزواج الذي تباع فيه تقول لها: " أمك اتجوزت من غير حب لأنها ما كانتش تقدر تختار، وإن اختارت ما كانتش تقدر

تتجوز اللي اختارته، أمهاتنا كانوا حريم، ملكية للأب بتتنقل للزوج، ولكن إحنا مالناش عذر .. تعليم واتعلمنا وكل شيء فهمناه وضروري نتحكم في مصيرنا، الحيوان نفسه بيختار "[xxxviii].

لكن جميلة تمت برمجتها على أن تحلم بالثراء الذي يوفره المشتري، بغض النظر عن مدى احتياجها للماديات " جميلة عايزة الحاجات دي لأن الناس فهموها إن الحاجات دي مهمة، إن الإنسان ما يكونش محترم إلا إذا كان غني "[xxxix] . وهكذا كانت زينب هانم أفضل من أم ليلى، لأنها غنية تلك هي الحقيقة التي برمجت عليها جميلة، وكان من المفترض بليلى أن تبرمج هي الأخرى على هذا النمط وتصير نسخة من جميلة ومن أمها ومن خالتها .

الشعور الجميل الذي نشأ عن تجربة ليلى مع عصام، ذاك الذي ملأها بالفخر ومنحها شعور الحرية والعزة والشموخ، تواجه عدة ضربات وصدمات من حقيقة الطرف الآخر لهذا الشعور، حقيقة عصام الذي ظهرت حقيقة شخصيته عندما قرر أخوها أن يسافر إلى القناة ليتطوع في الحرب وظنت أن عصام لن يتوانى عن واجبه كذلك ولكن تردده وتخاذله صدمها، تُرى أيكون جديرًا بالصورة التي رسمتها له، أيكون أهلًا لأن تتوسم فيه الملجأ والملاذ والمفر ؟ لا، لقد " أشاحت بوجهها عنه، لا لن تنظر إليه، لن تستجدي منه شيئًا، إن الحب لا يستجدى حب مصر لا يستجدى، إن لم ينبع من القلب فلا فائدة، لا فائدة " [xl]من شخص عصام إنه جبان تراجع عن الدفاع عن وطنه، كيف سيحميها ويدافع عنها ويخرجها من سجنها، هي والوطن سواء إن لم يحب وطنه فلن يقوى على حبها" لقد خذلها، خذلها ؟ كيف ؟ لقد خذلها والسلام " [xli]

إذن لم تكن الإرادة الحرة وسلطة القلب التي دفعت عصام للاهتمام بها والتقرب منها، لكنه أراد أن يمتلكها وهي " فهمت لماذا يحمر وجهه عندما يدخل أبوها أو محمود أو أمها، إنه يعتبرها ملكًا لهم، والعاطفة التي تملؤها هي بالفخر والاعتداد والرغبة في الحياة تملؤه هو بالشعور بالإثم " [xlii]، لأنه رآها كما يراها الجميع، دمية، مجرد غرض للتملك للعب، لا رأي لها ولا قلب ولا إرادة بعدما قرر هو أن يمتلكها.

صارت الآن من ممتلكاته، لا حق لها في الرفض أو القبول، يقول عصام وهو يصرخ كالمجنون : " إنت بتاعتي .. بتاعتي أنا .. ملكي أنا .. فاهمة ؟

-أنا مش ملكك ولا ملك أي إنسان ! أنا حرة فاهم ؟ [xliii].

اصطدم كلاهما بحقيقة مؤلمة، هي ترفض أن تنتقل ملكيتها من أبيها وأخيها إليه، هي ترى لنفسها كيانًا، لا يراه غيرها، وهو في الواقع لا يحبها حب المشاركة إنما حب التملك، والدليل أنه يحب

غيرها بنفس الطريقة يحب الخادمة وقد رأتهم ليلى وعرفت حقيقة عصام مرة أخرى وتأكدت أنه ليس جديرًا بالحب، كيف يحبها وقد عجز عن حب وطنه؟ وكرهته و" انقلب وجهها واصطبغ بالكراهية والاحتقار، وشعرت ليلى أن شيئا ما قد مات فيها، ومدت يديها في هدوء وأزاحت يدي عصام عنها "[xliv]. إذن فأين الحب الذي ظنت ملاذها فيه ؟ إذن هي غير مقبولة ولا محبوبة، هي ما زالت ممسحة لا قيمة لها ولكن كيف ؟" لم تستطع هي أبدًا أن تفهم كيف يحب امرأة بروحه وأخرى بجسده ؟! والأخرى ؟ ألم يخطر في باله أنها إنسانة وأنه قد أضرها في جسدها وفي عواطفها وفي إنسانيتها؟ أبدًا إنه مطمئن مرتاح، وجميلة أكثر من مطمئنة إنها مزهوة منتصرة لقد مشت على الأصول واللي يعرف الأصول ما يتعبش، حسبت ليلى نفسها أقوى من جميلة ومن خالتها ومن أبيها وأمها وأصولهم، عاشت فترة من الزمن في ظل هذا الوهم، وهي في الحقيقة تافهة ومغرورة وحقيرة ممسحة يمسح فيها الناس أقدامهم " [xlv].

أدركت مرة أخرى قيمتها الحقيقية،هي لا شيء كادت تنخدع بحب عصام الزائف، حسبته رآها حقًا، ولكن لا كيف يراها، وهي لا شيء. تتملكها الحيرة، هل هذه حقيقتها، هل هي المخطئة مرة أخرى، ولكن فيم أخطأت لقد أعطاها عصام الحب وقد فتحت له الباب هل أخطأت في ذلك ؟ كان عليها أن تدرك قيمتها كما ينظر إليها جميع المحيطين بها، كيف تصورت أن يختلف عصام عنهم، كيف تصمد هشاشة هذا الحب الضعيف، أمام صلابة وبشاعة الحقيقة ؟

تاهت ليلى مرة أخرى وضاعت وقد وجدت سكينة من نوع ما في هذا الضياع،" وعلى هذه الأرض الصلبة إلى جانب عديلة وقفت ليلى بعد تجربتها مع عصام، عاشت تتحصن ضد الحياة التي تخشاها بوجه بارد، وقلب بارد، وإحساس بارد وبراحة نفسية مبنية على شعورها بأنها على صواب "[xlvi]

إذن الحب ليس خلاصًا ؟! أم أنه لا يكون مفرًا لمثلها، ولا يليق بها ؟ هل هي المخطئة مرة أخرى ؟ حين ملأها الحب بالزهو والفخر كما أحست عند خروجها للهتاف للوطن ؟ خدعها هذا الشعور أعطاها قيمة وهمية لاوزن لها على أرض الواقع، واقع أبيها وواقع جميلة وواقع زينب هانم، واقع المجتمع. لا لتغلق الباب مرة أخرى، هي لا تشك الآن أنها أخطأت في فتح الباب لعصام، ليغلق وليظل مغلقًا.

لا لن تفتحه حتى أمام حسين صديق محمود حسين الذي قد يكون لها بمثابة طوق النجاة، ولكن هي قد آمنت الآن بعد تجربة عصام أن الحب وهم وأن الرجال نسخة واحدة على صور مختلفة من أبيها وقد صارحت حسين بهذه الرؤية وتساءل حسين" هل هي تؤمن حقًا أن الحب كلام فارغ وأن

كل الرجال سواء، وأن المهم أن يتمتع الإنسان بمركز اجتماعي محترم؟ وهل هي تعجب بجميلة وزيجتها وتعتبرها مثلًا أعلى للزيجات؟ "[xlvii]. تؤمن بذلك لمَ لا، وجميلة متزوجة وسعيدة وزوجها سعيد، وأمها سعيدة، والجميع سعداء، لا يهم إن كانت هذه السعادة حقيقية، أم أنها مجرد أقنعة تخفي وراءها الكثير، المهم أنهم على الأصول وأنهم مقبولون في المجتمع . ولا يجلدهم أحد .

ولكن كل هذه الأفكار التي حاولت ليلى أن ترغم عقلها على تبنيها والاقتناع بها كانت تصيبها بحزن شديد، وتعزلها عن الآخرين، وقد رأى حسين كل ذلك في عينيها "ورفعت ليلى وجهها إليه، ورأى حسين في عينيها حزنًا عميقًا، كما لوكان أدرك حينذاك فقط مدى تعاستها وشعورها بالانعزال، وأدرك أنها في حاجة إليه رغم كل الحواجز العالية التي ترفعها في وجهه "[xlviii]، هذه الحواجز تحميها من أن تكرر تجربة عصام مرة أخرى، هي متعبة جدًا، أضناها الحزن، استسلمت لا تريد خوض التجارب ولا البحث عن الحقائق، هي الآن قانعة بأصول المجتمع وحدوده، لا طاقة لها للمحاولة، ولا تريد أن تصدق أن حسين قد يكون خيط النور الذي سيبدد ظلمة السجن الذي تعيش فيه، سجنًا لأفكارها ولأحلامها ولروحها .

الدكتور رمزي رصاصة الرحمة :

بعدما استكانت ليلى وقبعت في سجنها مدعية راحة الاستسلام دخلت إلى الجامعة بخطىً ثابتة، تكبح جماح شعور الحرية الذي يصرخ بداخلها وهنا التقت بالدكتور رمزي، الصورة المثالية للرجل الذي تقنع أن تبقى في ظله، هو مثال مكتمل للصنم بل هو" إله من آلهة الإغريق، لا يضعف أبدًا يقف في الصواب ويؤمن أنه على صواب، ويريد لها أن تكون في الصواب في ظله، إنه لا يخطئ أبدًا ولا يضعف أبدًا، ولا يلين أبدًا، وصرخ قلبها أرجوك لا تؤذني، سأمشي في ظلك، سأتبعك ولكن لا تؤذني " xlix .

هي الآن لا تقوى على المقاومة، لا تريد السير عكس التيار، تريد السير معه، فقد أدرك الدكتور حقيقتها وأدرك ما يقبع بداخلها ورأى ان ليلى الحرة التي صرخت في وجه عصام من قبل : أنا حرة، مدفونة على قيد الحياة بداخل ليلى الخاضعة المستسلمة التي لطالما بحثت عن ظل لتسير فيه وها قد وجدته، أدرك رمزي ذلك حين نظر إليها فـ" عكست عينا ليلى قوة جبارة، مزيجً ؟ من الثورة والعنف والاعتداد والكراهية، قوة لم يخيل إليه قط أن من الممكن أن يحتويها كيان هذه الطفلة الرقيقة الوديعة [l]، ولكنه أدرك ايضًا أن تلك القوة محبوسة ومكبلة ولا خوف منها فقد سبقه الكثير إلى هدمها، سبقه المجتمع وسبقته الأصول، وهي جاهزة له في انتظار ان أن يقضي عليها تمامًا " ودخلت عيناه

مع عينيها في صراع طويل وهما الآن تقتحمانها وتهدانها هدا، وهو يخضعها ويروضها، وهما تعمقان بعمق من عمقها، وكأنه يسلبها منابع القوة قطرة بعد قطرة " [li]. حتى أجهز عليها أو كاد .

وصارت ليلى تمشي في ظل هذا الجدار العالي مستكينة له تحاول نيل رضاه، وتكيف كل ما في عقلها وقلبها ليلائم أفكاره ورؤاه ولم لا فقد " كانت ليلى وحيدة وممزقة ومرهقة ولمحت جدارًا كبيرًا امتد لها ظله، وجلست في ظل الجدار يحميها ويقويها، وحصرت تصرفاتها بل أفكارها، في النطاق الذي يرضى عنه الدكتور رمزي، وأصبح الصواب ما يرتئيه صوابًا والخطأ ما يعتبره خطأ "[lii] ولكن على حساب إنسانيتها وذاتها حتى استحالت ليلى مسخًا، لم تعد هي صارت نسخة مشوهة من نفسها " أصبحت جامدة متحجرة بليدة الحس، محدودة الأفق، لا تتكلم إلا لتصدر أحكامًا قاسية تدين بها الناس في ثقة ووقاحة "[liii] حتى تساءلت سناء صديقتها أين ليلى؟ أين ذهبت؟ ماذا حدث لروحها؟ " ماذا حدث للفتاة التي كانت المحبة تترقرق في عينيها وكيانها كله ولماذا أصبحت هكذا مليئة بالحقد وبالمرارة وبالجمود وبالتحجر والبرود ؟ "[liv]، وهي راضية، حتى أنها رأت في رمزي رمزًا للمثالية وأن هذا الإله جدير بالحب، حتى وإن لم يمنحها إياه هي أرادت أن تستجدي الحب من الدكتور رمزي وتشعر أنه يحبها ويرغب فيها كامرأة " لم تعد العلاقة التي كانت تجمعه بها كأستاذ بطالبته ترضيها، كانت تريد أن تشعر أنها خطيبته وحبيبته " [lv]. لترفع من شأن نفسها أمام ذاتها المنهزمة المنكسرة الجريحة، هي تريد أن تكون جديرة بهذا الصنم حتى خيل إليها أنه قد يقدر الحب، لأن هذا هو الصواب الذي يراه الصنم رمزي، الذي يراه الأب وتراه الأم ويراه الجميع أجل أليس هذا هو الصواب، أليس من المفترض بالصواب أن يجعلنا نشعر بشعور جيد نجد فيه الراحة والقبول والحب،وقد يكون نظر إليها كإنسانة لها قيمة وهو بعلمه واطلاعه وقوة شخصيته هل هذا هو الصواب أم أن للصنم رأيا مغايرا قد يكشف الحقيقة ؟

الحقيقة التي ستنفجر في وجه ليلى وتصيب شظاياها قلبها، لمَ اختارها رمزي؟ اختارها لأنها أجادت الخضوع وقمع ال(لا) في نفسها، حتى استحالت حقًا ممسحة كما رأت نفسها ولطالما اعتبروها كذلك، والآن هو اختارها لهذا السبب، وها هي ترى الحقيقة حين قال لها رمزي لماذا يريد أن يتزوجها : " عشان مطيعة وهادية وبتسمعي الكلام "[lvi]، هذا حق ولكن لمَ هذه الحقيقة مؤلمة لها لهذه الدرجة ؟

عندما سمعت منه هذا الكلام لم تقو على قبوله و" وتسلل إلى قلبها ألم مفاجئ، وكأن يدًا تعتصره، وكلما ازداد الألم ازدادت انكبابًا على مراقبة سناء ومحمود وكأنها تستعذب الألم " [lvii]

مرة أخرى تتكشف أمامها حقيقة الدكتور رمزي حين يصرح برأيه في قصة حب سناء ومحمود ومحاولاته الدءوبة لإقناع محمود بالانصراف عن فكرة زواجه من سناء، تحقيقًا لرغبة الأب والأم والمجتمع الذي يرفض الزواج بهذه الطريقة، ويحمل سناء جرم انخراطها في قصة حب مع محمود وأنها الشيطان الذي يغويه وأنه يجب أن يتركها ويتزوج غيرها فهي ليست أهلًا للزواج منه، أما هو فكونه رجلًا يعطيه الحق في الخطأ، حتى أنه لا يعد خطأً في الأساس وإنما هي تجربة كالتجارب التي مر بها الدكتور رمزي، ولكنه أفضل من محمود لأنه حين قرر الزواج اختار من هي مثل ليلى، وفي رأيه " مفيش حاجة اسمها حب، دي الكلمة اللي الإنسان المتحضر بيقنع بيها الغريزة واللي أنت شايفاه قدامك اندفاع زي اندفاع الحيوان وراء غريزته " [lviii]. إذن هذا رأي الإله في المشاعر الإنسانية، أدركت الآن حقيقته ولكن"هل تحطم الإله أمام عينيها ؟ هل عرفت فيه الإنسان الذي يخفي احتقاره لنفسه تحت مظاهر القوة ؟ الإنسان الانتهازي الذي يكرس ذكاءه وآدمية من حوله من الناس ليحقق أغراضه النفعية ؟ ولكن لماذا هي راضخة ؟ "[lix]

لماذا تستسلم له إذن رغم تكشف الحقيقة أمامها؟ لماذا لا تخرج من ظله، ومن هذا السجن، لم يكن رمزي هو السجن المثالي الذي تعيش فيه مكبلة ولكن راضية تغمرها راحة الاستسلام والخضوع، لا ميزة فيه، لم ينفعه العلم وربما عرفت كل هذا منذ البداية، رغم مواجهات سناء لها، ورغم الصورة المشوهة التي تحولت إليها معه، ورغم مشاهدتها للأيديولوجية المناقضة له تمامًا في قصة سناء ومحمود، لكنها لم تستيقظ بعد، لازالت ترى في نفسها الصورة التي استحالت إليها بعد محاولات المجتمع الدءوبة لسحقها، صورة الممسحة، صورة اللاإنسان تقول عن نفسها وقد أجابت على سناء: "صدقيني يا سناء.. أنا ما أستاهلش أحسن من كدة !"[lx]

ها هو الدكتور رمزي يستمر في معاملتها بنفس المبدأ مبدأ التملك، مثل الأب ومثل عصام من قبل، ولكن باختلاف الطريقة، يرغب في امتلاكها، لكنه حتى لم يتكبد عناء اصطناع دعوى الحب مثل عصام، أخبرها صراحة أنه اختارها لأنها لا رأي لها وهي مادة جيدة للطاعة العمياء لا تملك قرارًا ولا تقوى على المواجهة هي تجيد الخضوع والإذعان وهو ما تربت عليه، لطالما تشبث المجتمع بتلك الفكرة ربما حتى وقتنا الحالي، يبحث الرجل عن الزوجة التي تربت في بيئة صارمة لأنها ألغت شخصيتها، وصارت تابعًا بامتياز، وهي ملكية تنتقل من الأب والأخ إلى الزوج، ولا ينظر لطبيعة المرأة التي تركن للسند والحماية ولا تفتأ تحتاج الرجل، واختيارها للطاعة كاختيار ينبع من الإرادة الحرة، المرأة تختار الطاعة وتسير بجوار الرجل لا خلفه ولا تكون تابعًا له.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

احتقرت ليلى الدكتور رمزي في داخلها، ومنذ اللحظة كرهته، لنظرة الشهوة التي رمق بها جميلة، التي أزالت الهالة الوقورة المصطنعة التي يحيط نفسه بها، وكرهته أيضًا للقصص التي رواها عن مغامراته ليقنع محمود بعدم الزواج من سناء، لكل الحقائق التي تكشفت لها عنه، ولكنها لم تستطع الثورة استسلمت كما استسلمت لأبيها وأمها والأصول والمجتمع، طوال حياتها، وكيف أغلقت الباب في وجه حسين وفضلت أن تقبع في سجنهم، حتى أنها أقنعت نفسها أن تقاوم شعور الكراهية والاشمئزاز ناحية الدكتور رمزي الذي" لم يعد يثير في نفسها هذه الكراهية العنيفة المتأججة. انكسرت مع الأيام حدة كراهيتها له، وأصبحت تحتمله بنفس الطريقة التي تحتمل بها أوامر أبيها وتأنيب أمها " [lxi]

وظلت ليلى ممزقة بين فكرتين، الحب والحرية وتقدير الذات، مع حسين ومحمود وسناء، والتبلد والسجن واحتقار الذات، مع الدكتور رمزي والأب والمجتمع،أمام عينيها وقريب منها ما يشعرها بالعذاب وهي تجربة أخيها واختياره لحبيبته صديقتها سناء التي اختارها واختارته وتشبث كل منهما بالآخر، وواجها العالم معًا، وانتصرا على العادات والتقاليد وكل العوائق، وهناك حسين الذي أحبها، وأراد أن يخرجها من براثن التبعية والعبودية، وقعت ليلى في صراع طاحن، بين ما قضت عمرها في التفكير فيه، وعرفته في الكتب وفي المدرسة ومن محمود، وبين ما تعلمته من أمها وأبيها وخالتها ومن حولها، رأى حسين فيها ما وراء الأقنعة التي تعلمت جيدًا كيف تتقنع بها، رأى حسين أنها ليست تلك الفتاة الخاضعة الذليلة، وحاول إزالة الطبقات التي تراكمت فوق ذهنها وكبتت أيديولجيتها،حتى سهل عليها اتباع الأيديولوجية السائدة في المجتمع لتسير خلفها، ولا تكبد نفسها عناء المقاومة والخروج قبل التسليم والغرق، انتشلها حسين بنظرته لها وقبوله لها كأنثى وإنسان إنسان له عقل وإرادة . نظرته التي أعطتها قيمتها الحقيقية " ولكن حين التقت عيناها بعينيه مصادفة تبدد خوفها، لم تجد في نظرة حسين يأسًا ولا خوفًا، ولا كانت تفحصها ولا تمتحنها كانت تربت عليها في حنان"[lxii]، شتان الفارق بين هذا الشعور وبين ما يثيره فيها الدكتور رمزي من مشاعر مقت وامتعاض .

وهذا الصوت الذي يأمرها أن تعود وتتراجع ولطالما أمرها بذلك ولكنها الآن أفاقت لا، إنها لا تريد أن تسمع الصوت يأمرها أن تعود، ويجرها جرًا إلى القاهرة "لا تريد أن تترك حياتها لرمزي ولأبيها يكيفانها كما يشاءان، وكأنها قطعة من الحجارة يقذف بها الإنسان بطرف حذائه أينما أراد لا .. يجب أن تواجه أباها ورمزي وأن تقول لا"[lxiii] . وقالت لا، واختارت ما ينير عتمتها ويقودها لفتح باب السجن والخروج، تلقت الخطاب من حسين لتسافر وحين قرأته عادت للحياة " وأشرق وجهها وكأنها ترى رؤيا

جميلة .. رأت نفسها تمشي بخطى جبارة إلى باب مغلق فتدفعه "[lxiv]"وقالت ليلى: يللا بينا، وسبقت حسين إلى الباب المفتوح " [lxv].

قد تكون الأيديولوجية الشخصية مصدرها كيف يعاملك العالم، وحدك تقرر إن كنت ستترك العالم يحدد توجهك وقناعاتك، أم ستنظر فيما يلائمك من تلك القناعات ثم تمضي في طريقك، وحدك ترسم هذا الطريق .

أيديولوجية المرأة قد تتحكم فيها العادات والتقاليد، الأصول العرفية كما فعلوا مع ليلى، وحده العلم ووحدها الحرية قد تفك قيد المرأة في مجتمعات تكره كيانها الأنثوي وترفضه وتخشاه،ما الفارق بين ليلى وبين أمها وخالتها تقول: " أمك اتجوزت من غير حب لأنها ما كانتش تقدر تختار، وإن اختارت ما كانتش تقدر تتجوز اللي اختارته، أمهاتنا كانوا حريم، ملكية للأب بتتنقل للزوج، ولكن إحنا مالناش عذر .. تعليم واتعلمنا وكل شيء فهمناه وضروري نتحكم في مصيرنا، الحيوان نفسه بيختار "lxvi.

لولا نور العلم لما فتحت ليلى عينيها على الحقيقة ولما اتجهت نحو الباب المفتوح، الذي فتحته لها الأيديولوجيات المناقضة للسائد في المجتمع، الأيديولوجيات الحرة، محمود وسناء، وحسين، وكل من خرج ليهتف بحرية الوطن، وكل من قاوم تيار القمع والظلم .

هل رأت ليلى ما أودى بصفاء وجميلة، كيف عاشت أمها، كيف حاولوا ترويضها وكتم صوت الحرية بداخلها، كيف عرفت أن العلم قادها لنور المعرفة، وأخرجها من براثن الجهل والخضوع، لولا العلم لما عرفت ليلى الطريق، إذن الخلاص يكمن في المعرفة .

ظهر في رواية الباب المفتوح كيف تتصارع في المجتمع عدة أيديولوجيات، ووقفت شخصية البطل (ليلى) بينها غارقة في الحيرة والضياع والتشتت، كيف عمل المجتمع على خلق أيديولوجية تسليع المرأة، وتكبيل فكرها وتوجيه موقفها في الحياة، احتد الصراع بين الأيديولوجيات المتناقضة بين الأهل والدكتور رمزي في جانب، ومحمود وسناء وحسين في جانب آخر، وليلى ممزقة بينهم، كيف كادت تحتقر نفسها وتراها أهلًا لكل شعور سيئ، كيف حاولت غلق أبواب الحرية ومنافذ الضوء، والتشبث بالسجن، حتى انتصرت أيديولوجية الحرية على أيديولوجية العبودية في آخر الأمر وأفاقت ليلى واتجهت نحو الباب المفتوح .

إذن أيديولوجيا الرواية تتحقق بالصراع بين الأبطال " وهكذا فكل بطل في الرواية أو كل مجموعة من الأبطال تشكل زاوية نظر خاصة ومخالفة لآراء الأبطال الآخرين، وعن هذا الاختلاف الأيديولوجي ينشأ الصراع في الرواية، وتصبح الحبكة ممكنة " [lxvii]. وبالنسبة للبطل هنا _ليلى_ فإن

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

الوعي بذاتها الذي وجه موقفها في الأحداث في الرواية، لم تظهر حدوده، ولم يتضح إلا بالتصادم بين الأيديولوجيات التي قاومته، وانتقلت من " موقف من المجتمع هو موقف التسليم الكامل والمصالحة التامة أو حتى الذوبان، دون تساؤل أو محاورة، إلى موقف آخر من هذا المجتمع نفسه"[lxviii] رأينا كيف عنفتها أمها طوال الوقت على أفكارها المضادة لأفكار المجتمع، القائمة على المادية والسطحية، وكيف وصفها ابوها بالفتوة، عندما حاولت أن تعيش وتنطلق نحو الحياة، ثم كيف حاول الدكتور رمزي أن يهدها ويحطمها، ويجمع رفات روحها في تابوت الزواج منه والانتقال لملكيته .

وقد حاول البحث استقراء الأيديولوجيا في الرواية عبر ثلاث روايات،منها رواية أخرى فيها نمط مغاير لشخصية المرأة، ومجتمع قد يختلف في ظاهره عن مجتمع ليلى، رغم تطابق الأيديولوجيا السائدة في المجتمعين، أيديولوجيا الخوف والزيف والسجن، وقتل الحريات.

شيء من الخوف:

في رواية شيء من الخوف نجد اتجاهين متناقضين للأيديولوجيات، أيديولوجيا الحرية، وأيديولوجيا العبودية، أيديولوجيا الحرية تمثلها فؤادة ونجدها تقف وحدها وهي" شابة في ريق العمر، أخذت عن أمها إشراقة نفسها وإيمانها المطلق بالله، وأخذت عن أبيها طيبة نفسه وسماحة مشاعره "[lxix]، تقف وحدها في مقابلة عادات الظلم والاستبداد والطغيان المتأصلة في قريتها من قبل عتريس، وقبله كان جده كذلك وهو من زرع فيه القسوة والجبروت.

تبلورت أيديولوجية فؤادة في مجتمعها الصغير الذي تكون من الأب والأم واللذين استقت منهما ملامح شخصيتها، وتوجهها في الحياة ثم هناك المصدر الذي صقل هذه الشخصية وحولها إلى هذه الصورة القوية الأبية المؤمنة بالعدل والحرية وهو" الكتب التي تصر على قراءتها ما أمكن "[lxx].

بين الاتجاهين المتناقضين نجد أيديولوجية المجتمع الخاضع، المجتمع الذي يحب فؤادة ولكن يضحي بها ويخذلها، ويبغض عتريس ولكن يداهنه ويخضع لها، وينفذ أوامره .

فؤادة :

تشكلت هذه الشخصية القوية، داخل هذه الصورة الجميلة "كانت فؤادة سمراء سمرة ما تكاد تلحظ، سوداء الشعر غزيرته، ذات عينين واسعتين نفاذتين تخترقان الحياة في فهم وذكاء، وكانت قوية الأسر لا يستطيع من يراها مرة إلا أن يذكرها دائمًا . فيها من العناد والإصرار فهي إن أرادت شيئًا حشدت كل قواها لتناله"[lxxi]، هذه السمات التي اجتمعت لتجسد سيف الحرية الذي سيحطم سلاسل

العبودية وقيود الأسر، ويحطم الجدران العالية التي ضربها الظلم والطغيان حول المجتمعات الضعيفة الخاضعة .

اعتمد ثروت أباظة مؤلف رواية شيء من الخوف، على السرد أكثر من الحوار في عرض الأيديولوجيات في الرواية، واختار تقنية الأصوات المتعددة[lxxii] هناك أيديولوجية فؤادة، القوية الأبية، وهناك أيديولوجية الجميع من حولها، الذين يرضخون لعتريس، ويؤثرون سلام العبودية الزائف،على الحرب من أجل الحرية. يضربهم عتريس ويهينهم ويشاركهم أرزاقهم، ويسلب منهم ما يريد، ويقتل ويعاقب كل من يخالفه الرأي، ولا يتصدى له أحد، إلا فؤادة .

أيديولوجية فؤادة والقيم والأفكار التي تبلورت فيها نبعت من نفس صافية وروح راقية محبة ودودة، رأت فؤادة أن " الحب هو جمال في الحياة هو كل معنى كريم في صلات الناس. وحين يتلاشى الحب أو يهن بين القلوب فالحياة إلى شر وعذاب وألم، والشرور كلها تنضح عن آنية البغضاء أو الحقد أو الطمع خلت من الحب، والحب. هو كل حياة جميلة في الحياة "[lxxiii]، فقد خلت إذن حياة عتريس من أي حب، لأنها امتلأت بالطمع والقسوة والكراهية، لذلك هي أيديولوجية مناقضة تمامًا لأيديولوجية فؤادة، لذا تولد عن لقائهما الصراع في الرواية .

هذه النفس الجميلة زينها ودعمها وساعدها الإيمان بالله،" وهي تحب الله ولا تناقش من شئونه شيئًا، وإنما هي تحبه وتحاول أن تعلل هذا الحب أو تتعمق أسبابه أو منابعه . هي تحبه وكفى، وتخشى أن توجد لحبها أسبابًا حتى لا يهن هذ الحب ولا يضعف . ثم هي تحب الناس أجمعين وهم يجدون أنفسهم تميل إليها ... كانت فؤادة قديرة على أن ترسل إلى نفوسهم إشعاعات خفيفة من الحب الذي تحمله لهم "[lxxiv]. وقد قوبل هذا الحب الجم الذي يغمركيانها بحب من الله الذي تؤمن به من أعماقها، فأحبها جميع الناس وبادلوها مودة بمودة .

فؤادة حملت هموم مجتمعها في قلبها، واكتسبت ثقة المحيطين بها، لأنها عرفت جيدًا ما يشغلهم، وأحست بمشكلة كل واحد فيهم " كان كل فرد فيهم يعلم أنها تحمل مشكلته ومشاكل الآخرين في أعماق قلبها. فلم تذع يومًا سرًا لأحد منهم . وكانوا يحسون أن مجرد رواية ما يعرض لهم من هموم على فؤادة هو في ذاته بداية التخفيف من هذه الهموم . أولئك الذين كان يؤذيهم عتريس كانوا يشكون لها، وكانوا يرون وجهها يفيض بالحزن والألم والأسى "[lxxv].

وصل إيمان فؤادة بالحرية ومقت العبودية إلى درجة التقديس يقول طلعت : " ليس بين من عرفت من الناس أحدًا يقدس الحرية مثلما تقدسها فؤادة ... لكم تحب فؤادة الحرية والعدل "[lxxvi]. منذ

طفولتها ومع تعرفها على قيم الحرية والعدل في الكتب التي تقرأها، حتى في الطفولة وفي لعب الكرة آمنت فؤادة بالحرية والعدل وأرادت من الجميع أن يحقق ذلك حتى في أصغر الأمور : " كان الملعب ملعبي والكرة كرتي ولكن فؤادة قالت لا..لا حازمة ..أنت تلعب مثلنا فيجب أن ينفذ عليك ما ينفذ على كل اللاعبين الآخرين، ولكنك أنت من فريقي وبهذا التجاوز الطفيف نكسب نحن ..كسبًا لا أرضاه لنفسي ولا أرضاه لك ولا أرضاه للحق .. ليس هذا عدلًا .. أنت حرة .. اتركي الملعب.. ألهذا الحد ؟ نعم إما أن نكون أحرارًا في الملعب أو لا داعي للعب .. ما لهذا وللحرية ؟ الحرية هي المساواة . امتيازك عن إخوانك عبودية لهم "[lxxvii].عرفت فؤادة أن أول ملامح الحرية هي المساواة، وأن تسير الحرية على قدمين ثابتين، ولا تميل ناحية أحد لأي امتياز عنده من ممتلكات أو سلطة، وإلا فسد المجتمع وظهرت الأحقاد والصراعات، وصارت الحياة ممسوخة مشوهة.

وقد ظلت فؤادة على مقاومتها للتيار السائد" وحين كبرت قليلًا وأراد أبوها ألا تذهب إلى المدرسة رفضت الأمر وأضربت عن الطعام "[lxxviii]، ولكن صرختها واعتراضها أوصلها إلى ما تريد فقد"أضربت عن الطعام أيامًا لم تطل، فقد أشفق عليها أبوها وذهبت إلى المدرسة .. حرة هي .. تعبد الحرية وتعيش بها .. إنها هي نفسها ما هي إلا نسمة من نسمات الحرية، وشعاع من ضيائها "[lxxix]، لن تسمح لغمامة الظلم أن تطفئ هذا الشعاع، بل سينتشر ويتسع حتى يسود جميع الأنحاء، وسيوقظ وهجه النائم في سباته، ليهب من اجل كرامته وحريته .

عتريس :

كبرت فؤادة مع اعتزازها بالقيم التي آمنت بها، والآن يريد عتريس أن يمتلكها عنوة وهدد بحرق الأرض والزروع وهدد الأب حافظ بزوجته وابنته قالت فؤادة " ليهدد ما شاء .. لن أتزوجه "**lxxx**، مثال الظلم والبطش الذي يقض مضاجع أهل القرية، الذي يناقض كل ما تؤمن به، يريد أن يمتلكها قسرًا، حتى يقتل كل شعاع ضوء من أشعة الحرية المحيطة بها، ويخنق نسائم العدل التي تعبق من أنفاس فؤادة، وهنا تأتي المواجهة بتقابل الأيديولوجيتين المتعارضتين، فؤادة بكل ما كبرت عليه من مُثُل وقيم ومبادئ، وعتريس بكل ما كبر عليه من كبر وتسلط وغرور.

هدد عتريس بالقتل والحرق والتخريب، لم يعرف الأب حافظ ماذا يفعل، وهو يعرف أن فؤادة تفضل الموت على الخضوع، وهي تكره عتريس وتمقت ما يمثله " وفي صمت حزين دلف إلى البيت . وفي صمت حزين استقبلته زوجته واستقبله البيت . إلا فؤادة التي كانت تبدو وكأن ما هم فيه لا يمت إليها بصلة هادئة هي مطمئنة لا تقول شيئًا ولا يبدو عليها حزن أو ألم أو صراع"[lxxxi] . لأنها واثقة أن

الحق منتصر، وأن تهديدات عتريس تصدر عن تمثال أجوف، مخيف في هيئته ولكنه فارغ في داخله، إن قابله سيف بتار، لا شك سوف يقطعه ويهده، ليسقط شظايا وقطع ا، لذا لم تخف ولا لم تهتز من تهديداته .

الشعب الخائف :

لكن الأب ومعه المحيطين به قرروا أن يرضخوا ويضحوا بفؤادة وبالفكرة التي تمثلها ويسلموها لعتريس، وقفت أيديولجية وفكرة الضعف والعبودية، بين أيديولوجية وفكرة الحرية في فؤادة، وأيديولجية وفكرة الظلم في عتريس . وفضلوا الخضوع كما كان دأبهم وديدنهم .

قال أبوها :" – يا بنتي يقتلنا جميعًا

- هو حر، ولكنني لن أتزوجه، ولن أعطيك الوكالة .قال الشيخ بسيوني:
- أنت يا بنتي فاهمة الذي تقولين أو الذي تفعلين .
- كل الفهم .. أنا أرفض أن أعطي الوكالة لتزويجي من عتريس . أنا فاهمة تماماً ما أقول وما أفعل"[lxxxii]

هذه القيم الأيديولوجية التي نقلها الكاتب في رواية شيء من الخوف وسمات المنقذ المحرر التي حشدها في فؤادة، استندت إلى مرجعية المجتمع، مع أيديولوجية الكاتب الذي رغب في تصوير بشاعة العبودية والذل وهشاشة الظالم المستبد، الذي يمكن التصدي له، وتحطيم عصا البطش التي يتسلح بها إذا آمن المستضعفون بحقهم في الحياة بعزة وكرامة، لأن كل ظالم يقوى بضعف من حوله، وركونهم للاستسلام بدلًا من المقاومة والنهوض والدفاع عن الحق الأصيل .

إذن يستند الروائي على أنساق اجتماعية، ربما يخالف فيها الواقع ظاهريًا من حيث الأحداث، لكنه يبث الأيديولجيا التي يؤمن بها، من خلال الصراع بين الأيديولوجيات المتناقضة، كما رأينا في رواية الباب المفتوح، ونرى هنا كذلك في رواية شيء من الخوف، كيف تتصارع أيديولوجية فؤادة القوية الواثقة القوية الحرة، مع أيديولجية عتريس المستبد، ومع أيديولوجية المجتمع الضعيف الخائف المتقهقر، المستسلم، الذي يفضل الكذب والخداع، ومخالفة شريعة الله، ما دام كل ذلك يبعدهم عن المواجهة، والوقوع تحت طائلة عقاب عتريس، كما فضل مجتمع ليلى المثل الدنيا، ما داموا لن يضطروا للمواجهة، والتعرض لأحكام الجلادين، أما هنا فقد اختار ثروت أباظة أن يضع الظلم في صورة مجسدة، وهي صورة عتريس . وقد ضحوا بابنتهم فؤادة التي لطالما حملت همومهم، وشاركتهم أحزانهم قبل أفراحهم، وكبرت بين أيديهم، فضلوا تقديمها كبش فداء لنيل رضا الجلاد، قبل أن يفيقوا

وينهضوا من سباتهم، بعدما تمادى الظالم في ظلمه واستحل لنفسه كل شيء، الأرواح والأموال، والأبدان، وكانت صحوتهم بفضل قوة وصمود فؤادة.

حتى بعد أن قرر شهود أبيها أن يشهدوا بهتانًا أن فؤادة وافقت وأعطتهم الوكالة؛ ليحموا أنفسهم من بطش عتريس وأجبرها أبوها على الخروج إلى عتريس بعد ان أتموا العقد واتفقوا أن العقد صحيح خرجت مع عتريس " وحين بلغوا البيت، وخلت الحجرة بفؤادة وعتريس اتخذت فؤادة مكانها على أريكة لاحظت أنها مغطاة بحرير جديد، وسكتت كأن ما هي فيه لا يعنيها "[lxxxiii]. وكأن كلمة لا التي قالتها فؤادة حملت في داخلها كل معاني القوة والصمود والمقاومة، مع العزة والكرامة والإباء، لم تهتز فؤادة لثانية واحدة، حتى بعد أن ظن عتريس أنه هزمها،وكسب التحدي والمعركة التي دارت بينه وبينها، يقول لها :

" ها قد تزوجت منك، قالت فؤادة في نفس هدوئها :

- بل أنت لم تتزوج مني .
- سيأتي الحب سيأتي رغم أنفه، ستجدين نفسك مع الأيام مضطرة أن تحبي زوجك .
- ولكنك لست زوجي .
- لنبدأ حياة جديدة بين زوج وزوجته . نترت فؤادة يده وهي تقول :
- لسنا زوجًا وزوجة "[lxxxiv]

قال عتريس : – إذن أقتلك .

- لا تحسب أنك تخيفني بهذا التهديد .فأنت لا تستطيع أن تقتلني، وإذا قتلتني فإني لن أموت .. أنا أمل في نفسك، فكرة في ضميرك .. الزواج مني حلم طفولتك وصباك وشبابك. إذا قتلتني فسأظل في نفسك أملًا وفكرة وحلمًا "[lxxxv]. وقد انتصرت عليه في النهاية وأيقظت جميع من حولها ليقفوا في وجه البطش والاستبداد والاستعباد .

الحق منتصر :

فؤادة فكرة، فكرة العزة والكرامة، لا يمكن أن تموت، وقد عرفت خصمها حق المعرفة، وانكشف أمام فراستها ما يكمن خلف القسوة والجبروت، الذي يتقنع به عتريس ويهد به قوة الناس أمامه، عندما عرفت خصمها حق المعرفة استطاعت أن تهزمه . حتى أيقظت من حولها مثل الشيخ إبراهيم الذي لم يعبأ لإغراق أرضه، ثم بلغ الطغيان مبلغه مع عتريس حين أمر بقتل محمود ابن الشيخ إبراهيم، والذي أيقظ بدوره أهل القرية جميعهم وخرجوا ليعززوا موقف فؤادة التي ما زالت صامدة تقول :

"– أنا لن أوافق أبدًا .

- لقد عاقبت في القرية كل من تجرأ فقال إن الزواج باطل .
- أيجعل هذا الزواج صحيحًا "[lxxxvi]

فكت فؤادة قيد المجتمع بأسره من حولها، فهي لم يكبلها قط أي قيد، بل أبت إلا أن تكون حرة طليقة، فعلت ما لم يفعل غيرها من الرجال والنساء، استطاعت بذكائها، وقوتها، وثقافتها، وقيمها التي آمنت بها، كل ما شكل أيديولوجية الحرية التي تمثلت في فؤادة، استطاع أن يقف في وجه الظلم والبطش والجور، والقسوة، والاستبداد، والاستغلال .

النظارة السوداء

تختلف رواية النظارة السوداء عن الروايتين السابقتين في اعتماد المؤلف على السرد[lxxxvii] في الطريقة التي يروي بها قصة سوزيت، وقد قام الراوي بدوره في تعريف القارئ بالحكاية

الصراع والتناقض في رواية النظارة السوداء صراع من نوع مغاير، البطلة سوزيت تصارع نفسها، تصارع الدونية والتبلد واللامبالاة، التي خلقها فيها إهمال المحيطين لها

" كانت دائما تضحك، ودائما تشرب، ودائما تأكل، ودائمًا تداعب الرجال"[lxxxviii]

قدمهما صديق أحدهما إلى الآخر، ونطق اسمها سوزيت ولم ينطق اسم عائلتها .. وكأن كل إنسان في العالم مفروض أن يعرف من هي سوزيت، ومن هي عائلة سوزيت، وأن أباها أحد كبار الأثرياء المضاربين في البورصة .. "[lxxxix] . هذه العائلة التي أنشأت ابنتها في طبقة فاسدة، كل شيء فيها مباح، حتى صارت سوزيت كالحجر بلا روح، تتبع شهواتها فقط، وليس عندها قيم عليا تحكمها ولا ضمير وصارت متجردة من الإنسانية والحياء وحتى الأنوثة رغم ما فيها من جمال، ولكن الابتذال يقتل الجمال في الأشياء، حتى انتابته دهشة عندما قابلها لأول مرة" وأعطى للسائق عنوان بيته، وانتظر منها أن تعترض وأن تحتد وأن تثور، فلم تجر العادة بين بنات الناس، حتى في هذه الطبقة الثرية المدللة الفاسقة، أن تصحب الفتاة شابًا تلتقي به لأول مرة إلى بيته .. ولكنها لم تعترض ولم تحتج ولم تثر .. ظلت جامدة كالحجر"[xc]، اكتشف أنها ليست كباقي البشر "إنها مريضة .. هذا البرود، وهذا الانحلال، وهذا الحس الحيواني العنيف، وهذا التجرد من كل مقومات الإنسانية .. كل هذا لا يمكن أن يكون إلا مرضًا "[xci].

وصار يتساءل في نفسه هل هي مريضة فعلًا، ما السبب في كل ما هي فيه، هل هي سيئة شريرة بطبيعتها ؟ لا" إنها بريئة .. إنها ضحية الجهل، وضحية انحلال الطبقة التي تعيش فيها،

وضحية أبيها الذي أهملها، وضحية أنانية الأم التي تركتها للصبية، وضحية الإخوة الأغبياء الذين تركوها بينهم تتجرد من حيائها ومن أنوثتها "[xcii]، وقد قرر أن يأخذ على عاتقه مهمة إصلاحها، أحزنه أن يتركها محطمة مخربة هكذا، رأي فيها وطنه المخرب المحطم ضحية الإهمال . وقرر أن يستلهم منها، ومن تجربتها الحماس اللازم في قضيته الكبرى، فصار إصلاحها تجربة مصغرة بالنسبة له من الإصلاح الكبير الذي يأمل أن يحققه .

علمها المحيطين طون بها أنها مجرد وجه جميل وجسد، هي سلعة فقط، أداة للعب والتسلية والاستغلال " لم تكن تعتقد أنها تملك شيئًا تعطيه أو تطالب به أكثر من الجسد .. لم تكن تحسب حسابًا للقلب أو العقل .. ولم تكن تعرف ما هو الحب، وأنه أسمى من الجسد .. إنه الروح وقبلها الناس كما هي، لم يحاول أحد أن يصلحها أو يعالجها أو يفتح عينيها تركوها بينهم كنكتة تطوف بهم أو لعبة يدورون بها لم يكن أحد يحترمها كفتاة لها اسم ولها ثروة أبيها، ولها فتنة "[xciii]. استسلمت لكونها الدمية التي يلعب بها كل من يقابلها قليلًا ثم يرميها بذلت نفسها حتى "أصبحت أقرب إلى سلعة.. سلعة راقية، سلعة بلا ثمن، لم تكن تطلب ثمن لياليها، ولم يكن أحد يطلب منها ثمنًا "[xciv] . ربما يصعب على مؤلف رواية النظارة السوداء أن يقنع القارئ أن شخصية سوزيت والوسط الذي نشأت فيه، يستند حقيقة إلى الواقع، في الفترة الزمنية التي ظهرت فيها الرواية، بعكس شخصية ليلى أو حتى فؤادة،لأن كل خطاب روائي ينشأ في إطاره الخاص[xcv] لأنه ربما ارتبطت الأحداث بوسط معين مغلق على نفسه، قليل العدد بالمقارنة بأسرة ليلى، أو فؤادة، ولكن اختلاف المجتمع الذي نشأت فيه سوزيت، يثبت أن القيود المكبلة للعقل والروح على اختلافها لا يمكن فكها إلا باعتناق أيديولوجيات تستند على نور العلم والمعرفة، وأن الحرية فكرة، بغض النظر عن نوع القيد، على سبيل المثال ليلى وسوزيت على طرفي نقيض، نشأت ليلى على قيود المجتمع الصارمة التي تجعل من كل شيء عيبًا، بينما نشأت سوزيت على التحرر الكامل فلا يوجد عيب ولا يوجد رقيب، ولا عقاب، وكذلك لا اهتمام ولا رعاية ولا حب ولا توجيه، مثلما حظيت فؤادة وهو ما نمى فيها فكرة الحرية والعدل . لذا ربما لا تمثل سوزيت العالم الخارجي المحيط في مجمله، ولكنها تمثل عالمها وتعيش تجربتها التي أسفرت عن قوة شخصية المرأة التي فكت قيودها وواجهت خوفها وعبرت إلى عالم جديد تستطيع فيه القيام بدورها الحقيقي في المجتمع والعالم.

وقد رآها غارقة في مستنقع الفساد والانحلال، وقرر أن يخاطب عقلها ووجدانها ويزيل طبقات الغبار المتراكمة فوق روحها، قرر أن يعرفها على نفسها الحقيقية، وأن الجمال يكمن في الإنسانية،

وأن راحة القلب والعقل والجسد في رقيه واتساع أفقه وتوجيهه ناحية المسار الصحيح فـ" وقف بجانبها خمس سنوات يعالج مرضها ويزيل أوساخ جسدها، ليكشف عن قلبها الطيب، وذهنها الراقي " [xcvi]

أدرك أن صلاح القلب في صلاح المعتقد، والإيمان بالقوى العليا التي ترسم طريق الإنسان في حياته وتمهد له سبل الخير، وتفتح عينيه على الشر ليختار الطريق الموصل للخير والحق، لقد بدأ في رحلة علاجها بزيارة للكنيسة وقد أثمرت الزيارة عن جعلها تفكر :"لقد بدأت تتساءل، وتناقش أي أنها بدأت تفكر، وبدأت تحاول أن تفهم .. وكانت من قبل لا تتساءل ولا تناقش ولا تحاول أن تفهم، كانت حيوانًا جميلًا يأكل ويشرب، ويشبع جسده، ويدور كالآلة الصماء .. بلا مبدأ، وبلا إيمان، وبلا هدف .. إنها بدأت ترتفع عن مرتبة الحيوان والآلة لتكون إنسانًا له عقل "[xcvii] . الفطرة الإنسانية تفضل السمو والارتفاع والابتعاد عن كل ما يحط من شأنها، لذلك أمسكت سوزيت باليد التي امتدت لها وتشبثت بها، لم ترفض العون، فكت قيود التعود، وقيود الشهوة، وقيود الفساد في المجتمع المحيط، والأسرة المفككة المحطمة . رأت بارقة نور في الطريق فركضت نحوها .

وضعت قدمها على طريق الخلاص، طريق العلم ونور المعرفة، أدركت أن هناك عوالم جديدة غير عالمها الصغير الضيق المظلم بين نوادي الرقص وبيوت الأصدقاء والمرافقين، عوالم كبيرة شاسعة مفتوحة وسحرية في الكتب "وبدأت تقرأ، وتقرأ في فهم.. قرأت في الشعر، وفي التاريخ، وفي الفلسفة، وفي الأدب القصصي.. ولكنها ظلت دائمًا تقاوم لتنتصر للجسد.. "[xcviii]، صار يناقشها فيما تقرأ، ويوقظ فيها حكمة العقل التي ميز الله بها الإنسان، وهو ما قتل الحيوان بداخلها وصارت مفعمة بالإنسانية، وعرف هو كيف يحاورها لتدرك ان لديها الكثير في الحياة لتتعلمه وتجربه.

وأثمرت المناقشات عن كرهها للرقص والملاهي وضوضاء السهر والحفلات والخمر " بدأت تخجل من نفسها عندما آمنت أنها بشر وليست حيوانًا .. وأنها أنثى وأن أول ما تتميز به الإناث هو فضيلة الحياء "[xcix]، فكرهت حياتها السابقة وانقطعت عن مجموعات الأصدقاء التافهين الفاسدين، وقررت أن تسمو بروحها فوق هذا المستنقع، ووجدت أنها قوية بنفسها لا تحتاج لهم لتحتمي فيهم، ولا تحتاج للسهر والتنقل من منزل لحانة لملهى لتندس وسط جموع المنحطين المغيبين وتنسى نفسها، فكت كل تلك القيود وحطمت كل تلك الحواجز الوهمية التي لطالما كبلتها، وانطلقت إلى دنيا جديدة نظيفة، إلى الحياة بواقعيتها وتحدياتها، وإلى نفسها البريئة .

آمن هو أنها قضيته ونموذجه المصغر في الكفاح ضد الفساد، هي مثال للمعركة يخوضه، وينجح فيه حتى يثبت لنفسه أنه يستطيع النجاح في خوض المعارك الكبرى، صارت هي الآن "وحي كفاحه،

والمعركة التي خاضها معها ليجعل منها فتاة طيبة، هي نفس المعركة التي خاضها ليصلح من وطنه، وأن انتصاره على مرضها، هو نفس النصر الذي ارتفع به حتى أصبح نائبًا من نواب أمته .. كانت المعركة بينه وبينها معركة بين المثالية والمادية، وهي نفس المعركة التي اشترك فيها لينصر المثالية الوطنية على مادية أصحاب الأموال الذين يحكمون مصر .. كان يحارب فيها البلادة والاستسلام، وكان يحارب البلادة والاستسلام في شعبه .. كان يحارب فيها الجهل، وكان يحارب الجهل في بني قومه "[ci].

وقد انتصر في المعركتين الصغرى والكبرى، ألهمته هي بقوتها وقدرتها على النهوض والمقاومة، رأى كيف استيقظت من غفلتها وخرجت من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، وأزالت النظارة السوداء التي كانت تغشى عينيها وصارت ترى، ترى الحياة والناس، والأهم أنها ترى نفسها وتعرف أنها غالية ثمينة وليست سلعة، وقد وجدت طريق الصلاح ومشته حتى وصلت، وقد كان صلاحها في يقظتها، لكن مع شدة الأسف لم يكن الانتصار في المعركة يناسبه هو، فنفسه كانت ضعيفة أضعف من سوزيت، أفسده العلو وأيقظ فيه شهوة المادية، وعشق السلطة وظل ينحدر حتى أغرته المناصب والمكاسب وحطمته " لقد أصبح رجلًا آخر .. أصبح حيوانًا .. أصبح آلة تدور بلا وعي وبلا هدف، أصبح كما كانت هي عندما التقى بها قبل أن تشفى " [ci]. تفوقت هي عليه، فقد أحالت ما كانت عليه إلى النقيض، تسلقت الجبل حتى خرجت من الهاوية، وقد ترك هو القمة وسقط إلى الهاوية التي أخرجها منها .

المفارقة أن تكون هي أقوى منه، عندما تقابلا " كان كل منهما يقف في أحد طرفي الطريق، ثم التقيا في منتصفه ليسير كل منهما إلى الطرف الآخر من الطريق .. كان فقيرًا وكانت غنية، فأصبح غنيًا وأصبحت فقيرة أو تكاد .. وكان مثاليًا وكانت مادية، فأصبح ماديًا وأصبحت مثالية .. وكان يؤمن بالروح وتؤمن بالجسد وأصبحت تؤمن بالروح .. وكان يعيش لمبادئه، وكانت تعيش بلا مبادئ، فأصبح يعيش بلا مبادئ، وأصبحت تعيش لمبادئها .. ولم يعد أحدهما يطيق أن يعيش مع الآخر .. كان يرى فيها صورة لشبابه الطاهر، ولكفاحه الشريف .. الصورة التي يخشاها ويريد أن يتناساها ويتناسى معها الماضي كله حتى لا يزعج بها ضميره الذي خدره حتى نام عن حاضره .. وأصبحت ترى فيه صورتها يوم كانت تعيش حيوانًا شره الحس، بارد الإحساس، جاف العاطفة "[cii].

هي أقوى منه تركت كل ما تربت عليه واعتادت عليه، واختارت الحرية، الحياة التي لا تكبلها فيها قيود، أما هو فقد انتقل من نبل الكفاح، وحب الوطن، إلى ضعة المادية، وحب المناصب. وهي"

إنها اليوم تعيش في عزلة.. سعيدة، هادئة، راضية الضمير "[ciii]"، وهو يعيش في أغلال المكاسب، والخوف من فقدان المناصب والسلطة التي حققها .

والنهاية هنا نهاية غير متوقعة، فضلها الكاتب عن النهاية التقليدية بالزواج والسعادة، وهو ما أكسبها قوة وواقعية رغم أنها قد تتسم ببعض القسوة، ورغم أن النهايات لها أثر شديد في نفس المتلقي وهي التي تفرق بين رواية وأخرى وقالوا "هي أضعف نقطة عند معظم المؤلفين"[civ].

يعتمد وجود الأيديولوجيا في النص على اختيار المؤلف للأصوات الناقلة للأفكار مثل الحوار الخارجي[cv] بين الشخصيات أو الحوار الداخلي أو الصوت السارد والذي يقوم بدور"الموزع للمادة القصصية في موقع الفاعل الأيديولوجي بدون منازع، إن اختيار الصوت المركزي وكذا الأصوات النرافقة له هو اختيار لطريقة عرض المضامين "[cvi]"، لذا يمكن النفاذ إلى فهم صحيح للرواية كلما اندمجنا مع الأصوات المختارة لنقل الأيديولوجيات المتصارعة التي تظهر كل ا منها الآخر، من ثنائيات العبودية / الحرية كما رأينا في الروايات السابقة، في كل رواية منهما اختار المؤلف أن ينقل الأيديولوجيا الخاصة به، عن طريق عرض الأصوات والمفاهيم المتناقضة، من المجتمع المحيط الذي تحيل إليه مرجعية النص، ومن الأصوات الداخلية للأنفس التي تنادي بالثورة والتمرد، ونبذ القمع والخضوع، وهو ما يتماشى مع حب الذات للوجود الحر، وحق الشعوب والأوطان في الحرية والعدالة، واختيار المثل والقيم العليا التي تخلق حياة السلام التي يسعى لها الإنسان في كل العصور، وهو ما فك قيد ليلى وجعلها تسرع نحو الباب المفتوح، وهو ما فك قيد فؤادة وحقق أملها في تحرير أهل قريتها، وهو ما فك قيد سوزيت من أغلال الشهوة والانحلال وضعة الحيوانية وجلب لها تقدير الذات والسلام والراحة والهدوء.

" تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود"[cvii]

إذن يثبت المؤلف أيديولوجيا الحرية من خلال أيديولوجية المرأة في الرواية، وهي التي وجدت بالفعل في المجتمع ووجدت في فكر المؤلف كذلك، وهو ينقل "الصورة التي توفرها الأيديولوجيا باعتبارها تأويلًا مسبقًا للفعل الاجتماعي "[cviii].فقيمة الحرية في المجتمع هي ما أُثبتت في الروايات الثلاث موضع الدراسة، رغم اختلاف المؤلف، واختلاف الشخصيات واختلاف المجتمعات التي نشأت فيها الشخصية المتخيلة، وكذا المرجعية السابقة على بناء هذه الشخصيات، إلا أن الفكرة الموحدة انبثق عنها أيديولوجية موحدة تنهض بصورة المرأة في المجتمع وتخولها الثورة والتمرد ضد ما ينقص من

قيمتها وقيمة وجودها بالنسبة لباقي المجتمع، وهو ما هدف البحث لاستقرائه ؛لأن الرواية العربية بحكم طبيعتها الفنية، بوصفها جنسًا أدبيًا حكائيًا، تبدو لنا أقدر الأجناس الأدبية على تمثل مظاهر الواقع الاجتماعي، ومن ثم على تعميق إشكالية علاقتها به "[cix]

وقد وجدنا خلقًا للتوازن بين مقاومة المرأة للتيار السائد من حولها والتحرر من القيود التي تحط من قدرها سواء الأصول البالية الخانقة، أو الظلم والاستبداد، أو الانحلال والفساد والانحدار الأخلاقي بدعوى التحرر، والتوازن بين تحرر الوطن كذلك من كل تيارات الفساد التي تهوي به إلى القاع . فالمرأة تعادل الوطن، وأيديولوجة الحرية تقود المجتمع نحو الحرية والعدالة والسلام وهو نفسه ما ينتهي إليه الصراع الأيديولوجي في الرواية من فك للقيود . وتشكيل صورة المرأة الثائرة المتمردة على الأوضاع السلبية في المتن الحكائي، ينبع في الأساس من الرغبة في زرع القيم والمبادئ ونشرها في المجتمع المتلقي للأدب في عصره . وهنا القيمة هي النهوض والمقاومة، وإعلاء قيم الحق والخير والجمال والسلام . وهنا يمكن أن نقول أن الأدب يتغلغل فيما أسماه بول ريكور المخيلة الاجتماعية والثقافية[cx] . ويهدف الأدب إذن إلى نقل هذه الأفكار إلى الواقع " باعتبار أن الواقع يكتسب معناه على أساس ما يمكن التفكير به وليس فقط فعله أو عيشه "[cxi]

يتستر الروائي[cxii] وراء عدة أقنعة لينقل أيديولوجيته في الرواية، وفي الروايات الثلاث رأينا كيف اختلفت التقنيات بين كل رواية واخرى رغم اتفاق الأيديولوجيات فيها، في رواية الباب المفتوح اعتمدت لطيفة الزيات على الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي، واعتمدت اللهجة العامية في حوار الشخصيات، بينما اعتمد ثروت أباظة على الفصحى في الجمل الحوارية، فالحوار " ليس تدفقًا بلا حدود"[cxiii]، لكنه يسير وفق استراتيجية معينة يعتمدها المؤلف لنقل آراء ومعتقدات وبالتالي أيديولوجيات شخوص الرواية، وقد رأينا كيف وظف كل كاتب في الثلاث روايات تقنيات متعددة، يتضح من خلالها القضايا التي تلامس وعي المتلقي ومنظور الكاتب في الوقت نفسه .

الخاتمة :

انعكست الأيديولوجيا في الرواية، في طريقة خروج كل شخصية من شخصيات المرأة في الروايات الثلاث، من المسارات المفروضة عليها من قبل المجتمع، وقد نجح الكتاب في نقلها عن طريق الصراع بين كل أيديولوجية والأخرى التي تقابلها .

- في رواية الباب المفتوح قابلنا ثلاثة اتجاهات مختلفة من الأفكار، اتجاه الأسرة والمجتمع والدكتور رمزي، واتجاه الشباب مثل محمود وسناء وحسين، وهناك ليلى الحائرة بين الاتجاهين .
- نجحت لطيفة الزيات في تتبع مراحل تكوين عقلية ليلى وأيديولوجيتها التي ثارت على الخضوع والانصياع حتى نجحت في فك القيود، التي احاطت بها طوال حياتها.
- كادت ليلى تمضي حياتها في شخصية مغايرة بل مناقضة لشخصيتها الحقيقية وكادت تفقد ذاتها للأبد .
- أثر العلم والقراءة والاطلاع على شخصية ليلى، وعرفت أنها إنسان له قيمة، وليست سلعة، ولا بضاعة تنتقل ملكيتها من الأب إلى الزوج .
- فتح الحب الباب لليلى، وأوصلها إلى مرحلة اكتشاف الذات، والركض نحو هذا الباب المفتوح .
- الأيديولوجيات المتصارعة في المجتمع تبقى في صراعها للأبد، والازدواجية السائدة بين أفراد المجتمع، تكشف عن فساده وهشاشته .
- حب الوطن أوضح سمات الأيديولوجية الحرة القوية، كما رأينا اجتماعهما في محمود وليلى وحسين .
- المرأة تعادل الوطن، وثورتها على القيود البالية، ثورة للوطن على الاحتلال والظلم.
- اعتمد ثروت أباظة في رواية شيء من الخوف على تعدد الأصوات الممثلة للأيديولوجيات المختلفة.
- كما في رواية الباب المفتوح، نجد كذلك ثلاث اتجاهات أيديولوجية متناقضة ومتصارعة .
- أيديولوجية الحرية وتمثلها فؤادة، أيديولوجية الظلم والطغيان، ويمثلها عتريس، وهناك الشعب الضعيف الخائف بينهما، ويمثله الأب والشيخ عبدالتواب وأهل القرية.
- انتصرت فؤادة بقوتها وصلابتها وثقافتها وعلمها، على الظلم وقضت عليه وحطمت الجدران العالية التي بناها الظالم حول عقول الناس، وحررتهم من براثن الفساد والاستعباد.
- رواية النظارة السوداء قدمت نموذجًا جديدًا للمرأة، يختلف عن نموذج ليلى، وفؤادة من حيث المجتمع المحيط، وظروف النشأة، وطبيعة وأسلوب الحياة .

- تتفق سوزيت مع فؤادة وليلى في قوتها، وقدرتها على التغلب على ذاتها، وانتشال نفسها من مستنقع الانحلال والتحرر المشين .
- لا يمكن الحكم على الإنسان ومبادئه، حتى يخوض اختبار السلطة والثروة، فلا يدعي المثالية من لم يخض الاختبار وينجح فيه .
- الرجل الذي ساعد سوزيت على اليقظة والنهوض، وعرفها على حياة النقاء والعلم والثقافة، باع روحه ومبادئه في سبيل المناصب والمكاسب المادية .
- أيديولوجية المجتمع تؤثر في تشكيل اسلوب حياة الفرد، ولكن يبقى عليه الدور في اكتشاف ذاته، والتسلح بالإيمان والعلم، حتى لا يضل الطريق.
- الأيديولوجيا في الرواية تثبت وجودها، وكذلك يثبتها الروائي عن طريق الصراع بين الشخصيات.

قائمة المصادر والمراجع :

١. إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة و النشر، تونس، د-ط، ١٩٨٦ .
٢. إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء، دار الهلال ط٢، د.ت
٣. إكرامي فتحي: جماليات اللغة وبنية السرد الروائي.. نجيب محفوظ نموذجا، القاهرة، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٧ .
٤. بول ريكور: محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تحرير وتقديم جورج.هـ. تيلور، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد بنغازي ليبيا، الطبعة الأولى .
٥. تيرى إيجلتون : النقد و الايديولوجية، تر : فخري صالح، المؤسسة العربية للد راسات و النشر، د -ت.د-ط.
٦. ثروت اباظة :شيء من الخوف، مطبوعات مكتبة مصر، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م
٧. حميد لحمداني : النقد الروائي والأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١ ١٩٩٠م.
٨. د حميد لحمداني: بنية النص السردي، بيروت، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.
٩. ديفيد لودج: الفن الروائي، ترجمة: ماهر البطوطي، القاهرة، المجلس ألأعلى للثقافة، ٢٠٠٢ .

١٠. رشاد رشدي: فن كتابة المسرحية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ .
١١. سعيد بنكراد : النص السردي، نحو سيميائيات للأيديولوجيا،دار الأمان، ١٩٩٦م
١٢. سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م .
١٣. صبري عبد الحميد حنورة: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
١٤. عبدالله العروي : مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، ط٥، ١٩٩٣م .
١٥. عبدالملك مرتاض، في نظرية الرواية : بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- السلسة ٢٤٠، ١٩٩٨ م .
١٦. عصام أحمد بهي: أيديولوجيا المصالحة في " قنديل أم هاشم " و " موسم الهجرة إلى الشمال مجلة فصول مج ٥، ع ٤ (١٩٨٥): ١٧٧ - ٢٠٢ .
١٧. علي عبد الواحد وافي : المساواة في الإسلام، دار المعارف سلسلة اقرأ القاهرة ١٩٦٥.
١٨. عمار بلحسن : الأدب و الأيديولوجيا، المؤسسة الوطنية، الجزائر، د -ط، ١٩٨٤ .
١٩. لطيفة الزيات: الباب المفتوح، الكرمة – القاهرة -مصر ٢٠١٥م.
٢٠. محمد الباردي: "الخطاب الروائي بين الواقع و الايديولوجيا."فصولمج ٥، ع ٤ (١٩٨٥): ١٥٩ - ١٦٣ .
٢١. ميخائيل باختين : الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٨٨٤م.
٢٢. نبيل راغب، موسوعة النظريات الادبية – الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع – لونجمان، ط١ ٢٠٠٣ م .
٢٣. نجوى معتصم أحمد إبراهيم. بنية السرد في روايات ثروت أباظة: رواية "شيء من الخوف" نموذجا."مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية ع٤٠، ٢٠٢٢ ،٩-٨٩٥.

[i] ميخائيل باختين : الكلمة في الرواية ، ترجمة يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٨م صـ ٧.

[ii] ميخائيل باختين : الكلمة في الرواية ، صـ١١٠.

[iii] نبيل راغب : موسوعة النظريات الادبية – الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع –لونجمان ، ط١ ٢٠٠٣ م ، صـ ٨١. وينظر كذلك في تعريف الأيديولوجيا وعلاقتها بالأدب كل من عمار بلحسن : الادب و الأيديولوجيا ، المؤسسة الوطنية ، الجزائر، د -ط، ١٩٨٤ .وتيرى ايجلتون : النقد و الايديولوجية ، تر : فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، د -ت.د-ط.وإبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، التعاضدية العمالية للطباعة و النشر ، تونس ، د-ط، ١٩٨٦.

[iv] عبدالله العروي : مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي ، ط٥، ١٩٩٣م صـ ١٣.

[v] عبدالله العروي : مفهوم الأيديولوجيا صـ ٣٤.

[vi] نبيل راغب :موسوعة النظريات الأدبية صـ ٢٠.

[vii] حميد لحمداني: النقد الروائي والإديولوجيا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت– لبنان ، ط١ ١٩٩٠م.صـ ٣١.

[viii] حميد لحمداني : النقد الروائي والإيديولوجيا ٣٢.

[ix] حميد لحمداني : النقد الروائي والإيديولوجيا صـ ٣٧.

[x] ينظر علي عبد الواحد وافي : المساواة في الإسلام ، دار المعارف سلسلة اقرأ القاهرة ١٩٦٥.

[xi] راجع في تعريف الإنثربولوجيا مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) – دراسة – د. عيسى الشمّاس – منشورات اتحاد الكتّاب العرب/دمشق ٢٠٠٤ – صفحة:٨ ، من https://ar.wikipedia.org/wiki/.

[xii] حميد لحمداني:النقد الروائي والإديولوجيا، صـ ٤١.

[xiii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح، الكرمة – القاهرة –مصر ٢٠١٥م، صـ ٢٤.

[xiv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٢٥.

[xv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٠.

[xvi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٢٩.

[xvii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح، صـ ٨.

[xviii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣١.

[xix] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٢.

[xx] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٣.

[xxi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٤١.

[xxii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح : صـ ٤٢.

[xxiii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح : صـ ٤٤.

[xxiv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ٥٠.

[xxv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ٥٠.

[xxvi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٥٢.

[xxvii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٥٣.

[xxviii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٥٣.

[xxix] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٦٠.

[xxx] لطيفة الزيات: الباب المفتوح ، صـ ٨.

[xxxi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٦٢.

[xxxii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٦٣.

[xxxiii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٦٤.

[xxxiv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٦٧.

[xxxv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٤٥.

[xxxvi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٧٢.

[xxxvii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٧٣.

[xxxviii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٩٢.

[xxxix] لطيفة الزيات :الباب الفمتوح صـ ٩٣.

[xl] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ١١٥.

[xli] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ١٣٠.

[xlii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ١٤٧.

[xliii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ١٦٨.

[xliv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ١٩٣.

[xlv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ١٩٧.

[xlvi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٢٦٦.

[xlvii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٢١٦.

[xlviii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٢٢١.

[xlix] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٠٥.

[l] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٠٣.

[li] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٠٣.

[lii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٠٧ ، ٣٠٨.

[liii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣١٠.

[liv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣١٠.

[lv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٢٤.

[lvi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٤٥.

[lvii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٤٥.

[lviii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٤٧.

[lix] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٨٦.

[lx] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٩٣.

[lxi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٣٨٠.

[lxii] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٢٣٩.

[lxiii] لطيفة الزيات : البا ب المفتوح صـ ٤١٢.

[lxiv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٢٧٥.

[lxv] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٤٥٦.

[lxvi] لطيفة الزيات : الباب المفتوح صـ ٩٢.

[lxvii] حميد لحمداني :السنقد الروائي والإديولوجيا صـ ٣٢.

[lxviii] عصام أحمد بهي: "ايديولوجيا المصالحة في " قنديل أم هاشم " و " موسم الهجرة إلى الشمال ".فصول مج ٥، ع ٤ (١٩٨٥): ١٧٧ - ٢٠٢ .

[lxix] ثروت أباظة : شيء من الخوف، مطبوعات مكتبة مصر، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م، صـ ١٥.

[lxx] ثروت أباظة : شيء من الخوف ص١٥.

[lxxi] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ١٦.

[lxxii] ينظر: نجوى معتصم أحمد إبراهيم. بنية السرد في روايات ثروت أباظة: رواية "شيء من الخوف" نموذجا."مجلة البحوث في مجالات التربية النوعيةع٤٠- ٢٠٢٢ م ، صـ٨٩٥ – ٩.

[lxxiii] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٢٥.

[lxxiv] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٢٦.

[lxxv] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٢٦.

[lxxvi] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٥٠.

[lxxvii] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٤٩.

[lxxviii] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٤٩.

[lxxix] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٥٠.

[lxxx] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٦٦.

[lxxxi] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٧٦.

[lxxxii] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٨٢.

[lxxxiii] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٨٦.

[lxxxiv] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٨٨.

[lxxxv] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ٩١.

[lxxxvi] ثروت أباظة : شيء من الخوف صـ ١٠٥.

[lxxxvii] ينظر في مفهوم السرد حميد لحمداني: بنية النص السردي، بيروت، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م، ص٤٥.

[lxxxviii] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء، دار الهلال ط٢ ، د.ت ، صـ ٢١.

[lxxxix] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٢٢.

[xc] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٢٦.

[xci] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٣٠.

[xcii] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٣٥.

[xciii] إحسان عبد القدوس: النظارة السوداء صـ ٤١.

[xciv] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٤٢.

[xcv] رشاد رشدي: فن كتابة المسر حية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ٧٣.

[xcvi] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٤٢.

[xcvii] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٦٠.

[xcviii] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٦٣.

[xcix] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٦٥.

[c] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٦٩.

[ci] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٨٤.

[cii] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٨٦.

[ciii] إحسان عبد القدوس :النظارة السوداء صـ ٨٦.

[civ] ديفيد لودج: الفن الروائي، ترجمة: ماهر البطوطي، القاهرة، المجلس ألأعلى للثقافة، ٢٠٠٢ ،ص ٢٥.

[cv] ينظر إكرامي فتحي: جماليات اللغة وبنية السرد الروائي.. نجيب محفوظ نموذجا ، القاهرة، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، 2017 ،ص٩٩.

[cvi] سعيد بنكراد : النص السردي ، نحو سيميائيات للأيديولوجيا ،دار الأمان ، ١٩٩٦م، صـ ٨٣.

[cvii] عبدالملك مرتاض، في نظرية الرواية : بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- السلسة ٢٤٠، ١٩٩٨ م ، صـ ٧٣.

[cviii] سعيد بنكراد صـ ٩١.

[cix] محمد الباردي: "الخطاب الروائي بين الواقع و الايديولوجيا."فصولمج ٥، ع ٤ (١٩٨٥): ١٥٩ - ١٦٣ . مسترجع من Record/com.mandumah.search//:http/٣٦١٤٠٧

[cx] بول ريكور: محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تحرير وتقديم جورج.هـ. تيلور ، ترجمة فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد بنغازي ليبيا ، الطبعة الأولى ، صـ٤٧.

[cxi] بول ريكور: محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تحرير وتقديم جورج.هـ. تيلور ، ترجمة فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد بنغازي ليبيا ، الطبعة الأولى ، صـ٥٢.

[cxii] سيزا قاسم ، بناء الرواية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م ، صـ ١٣١.

[cxiii] صبري عبد الحميد حنورة: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٢٩.